

رواية
@ketab_n
12.3.2015
جورج أورويل
مزرعة الحيوان
عندما يتساوى الإنسان مع الحيوان في السلوك...
المركز الثقافي العربي

جورج أورويل

مزرعة الحيوان

رواية

ترجمة

محمود عبد الغني



المركز الثقافي العربي

جورج أورويل

مزرعة الحيوان

الكتاب

مزرعة الحيوان

تأليف

جورج أورويل

ترجمة

محمود عبد الغني

الطبعة

الثانية، 2014

الترقيم الدولي :

ISBN: 978-9953-68-600-4

الناشر

المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء ـ المغرب

ص.ب : 4006 (سيدنا)

42 الشارع الملكي (الأحباس)

هاتف : 0522 303339 ـ 0522 307651

فاكس : 305726 522 212+

Email: markaz@wanadoo.net.ma

بيروت ـ لبنان

ص.ب : 5158 ـ 113 الحمراء

شارع جاندارك ـ بناية المقدسي

هاتف : 750507 01 ـ 352826 01

فاكس : 343701 1 961+

Email: cca_casa_bey@yahoo.com

تقديم

-1-

ما أن أتممت ترجمة رواية «مزرعة الحيوان» في تلك الليلة الصيفية، حتى حذتني الرغبة في الكتابة إلى جورج أورويل أبلغه الخبر، كما يفعل جميع المترجمين. سبق أن كتبت للروائية الفرنسية «ألينا رييس» حين ترجمت روايتها **محمد يحبني**، ومع ليونيل راي، وجاك آنصي. الأول ترجمت له مثل **قصر مفكك** والثاني **ما لا يدرك**، بل هناك من المترجمين من يتدبر بطاقة طائرة ويدعو الكاتب الذي ترجمه إلى الحضور للاحتفال بمناسبة صدور العمل المترجم، فكان المترجم يجد نفسه جنباً إلى جنب مع كاتب عرفه على الورق، في حديقة منزل، إن كان يملك منزلاً بحديقة أو في مطعم فندق أو على منصة جمعية ثقافية. لكن، كيف أكلم جورج أورويل المتوفى سنة 1966؟

كنت أترجم الرواية وهدفي من الترجمة أن أجعل الصوت

اللغوي، وصوت المشاعر والأفكار، في الرواية يسمع في هذا الطرف الآخر من اللغة. وبذلك كنت أرى الاختفاء التدريجي للإنجليزية والفرنسية (ولغات أخرى ترجمت إليها الرواية)، والظهور التدريجي أيضاً للرواية وهي تنقل إلى اللغة العربية باعتبارها اللغة الهدف.

ترجمت رواية **مزرعة الحيوان** إلى اللغة الفرنسية سنة1947 تحت عنوان مغاير **الحيوانات في كل مكان** "*Les animaux partout*"، وأعادت منشورات غاليمار نشرها في ترجمة ثانية تحت عنوان آخر هو **جمهورية الحيوان** سنة 1964، وسنة 1983، بترجمة الصحفي والكاتب والناقد السينمائي «جان كيفال» (1913-1930). وهو من كبار المترجمين، نقلت على يده أعمال أدبية مهمة لإريك مردوخ وسكوت فيتزجيرالد وبيرتراند رسل وآخرين. كانت ترجمته لـ **مزرعة الحيوان** حياة جديدة لهذا النص الروائي المميز. وليس من ملاحظة على ترجمة «جان كيفال» سوى ترجمته لأسماء الحيوانات التي كانت شيئاً أخلَّ إلى حد كبير بالنص. ومعلوم أيضاً أن «ج. أورويل» ترجم إلى اللغة العربية من طرف سعدي يوسف الذي ترجم بطريقة مشوقة كتابه الهام **متشرداً في باريس ولندن** (المدى 1997). لكن **مزرعة الحيوان** كانت سيئة الحظ في العربية، رغم تعدد الترجمات، واختلاف أسلوبيتها، فكان النص ينتقل من ترجمة مختصرة تضحي بالحبكة والسرد والوصف وما ترتبط بها من عناصر

تكوينية إلى ترجمة قزمت لغة أورويل المبطنة بالعناصر الإشارية والشعرية. لهذا الغرض أعدت ترجمة هذه الرواية العظيمة التي اقتبس موضوعها في أعمال سينمائية، كما استلهم موضعها، وعنوانها، فنانون ومبدعون في أعمال فنية كثيرة. كما كانت لها آثار جمة على الموسيقيين. فألبوم الفرقة الإنجليزية «بينك فلويد» الصادر سنة 1977 حمل عنوان **الحيوانات**، في استلهام جزئي من الرواية.

-2-

لا نجد كاتباً من الأزمنة الحديثة تحدث عن السر الحيواني، كما فعل جورج أورويل في روايته الشهيرة **مزرعة الحيوان** التي كتبت بين نوفمبر 1943 وفبراير 1944، ونشرت في إنجلترا سنة 1945. أيام كان أورويل اشتراكياً ديمقراطياً وعضواً في «حزب العمال المستقلين»، ومتشككاً في سياسة ستالين. وقد عبر بنفسه، في إحدى رسائله، بأن رواية **مزرعة الحيوان** هي نص أدبي كتب في مواجهة ستالين. إن رواية من هذا النوع، تواجه فشل المشاريع السياسية القمعية، وتندد بإرهاب الدولة والقمع السياسي، هي ما ننتظره من العدالة التخييلية التي يملكها شعراء وروائيون من بلدان الشراسة البيروقراطية، ووحشية الفقر والجهل.

ليس للحيوانات أي ذكرى. ليس لها أي حظ. لم نسمع قط من تحدث عن هذا الحظ قبل جورج أورويل. لنتأمل نظرة

الحيوان، تلك النظرة المجروحة والأسيانة، لا يوجد فيها أي فرح، أو سعادة أو اقتناع بالشرط الذي يمر به. والخزي الحيواني يضيء أنواعاً أخرى من الخزي والعار. ففي البؤس الإنساني مثلاً يوجد وعي بهذا البؤس. وفي أحيان كثيرة يكون هذا البؤس مبطناً بالثورة عليه، أي إن شيئاً ما يمكن أن يفعله الإنسان ضد هذا البؤس. لكن الحيوان لا يملك شيئاً من ذلك. لا يملك الذكرى أو الأمل أو الوعي. الحيوان يعيش دائماً في سجن. حتى الكلب الذي يخرج مع صاحبه الصياد، ويجري في الجبال والمراعي والغابات يحمل سجنه معه. الكلب الذي يرافق الصياد أو الحصان الذي يقفز أو يجري كالريح في الميادين والمضامير، لا يعرفان السعادة، لأن سجنه معه لا يغادره. وتلك الحيوانات التي تجري في المراعي الحرة والمتوحشة التي تنقلها كاميرات الأفلام الوثائقية والاكتشافات العلمية، هي أيضاً كائنات لا تعرف السعادة، فثمة من يأتي إليها قصد اصطيادها. لذلك فهي دائمة الركض، ولا تقف إلا عند غدير أو نبع أو عشب. ذلك هو قدرها، أو «سرها الحيواني»، حسب تعبير الكاتبة الفرنسية «جونيفييف جيناري» التي تكاد تكون الكاتبة الأوروبية الوحيدة التي تحدثت عن هذا الشرط الحيواني بعد جورج أورويل.

عندما تحدث أورويل عن معاناة الحيوانات، تحدث عن خزيها، وكأنها أخت الإنسان في الوعي والشرط والوجود. فهي تعيش في مزرعة تسمى «مزرعة القصر» التي في ملكية

السيد جوزن السكير. كان يقهرها بالسوط، ويبخل عليها في حصص الأكل والأعلاف. قررت الحيوانات، بفضل الخنزير العجوز «ميجر»، الثورة على الأوضاع البائسة وقوانين جونز القاهرة. رغم أن تراب أرضها خصب وطقس سمائها ماطر. طردته من المرزعة، فالإنسان مخلوق أناني. وبدأت تتعلم كيف تسير مزرعتها بنفسها بعيداً عن قوانين الإنسان. بعد طرده من المزرعة اتخذ جونز مسكناً آخر له «حانة الأسد الأحمر في بلدة «بيلنغدون»». وضعت الحيوانات لنفسها نشيداً عنوانه «حيوانات إنجلترا» يبدأ بجملة شعرية جميلة: «حيوانات إنجلترا، وحيوانات إيرلندا/ حيوانات كل أرض ومناخ/ أصغوا إلى أخباري السارة/ عن زمن المستقبل الذهبي». كما وضعت سبع وصايا، تقول الوصية الأولى: «كل من يمشي عل قدمين فهو عدو»، وتقول الثانية: «كل من يمشي على أربع قوائم أو له أجنحة هو صديق». وتقول الثالثة: «يحظر على الحيوان ارتداء الملابس». والرابعة: «يحظر على الحيوان النوم على السرير»، والسادسة: «لا يجوز لحيوان قتل حيوان آخر»، والسابعة: «كل الحيوانات متساوية في الحقوق والواجبات». مرت الأيام واتخذت الخنزير نابوليون قائداً لها. فبدأ ينام في السرير، بما أنه قائد، مخالفاً الوصية الرابعة. وبدأ يعقد الصفقات مع السيد «ويمبر»، مخالفاً الوصية الثانية. كما سادت التفرقة والتمييز بين الحيوانات، وتلك خيانة كبرى للوصية السابعة. فشاع الاقتتال بين الحيوانات. وبدأت أعين

مالكي المزارع المجاورة يتربصون بمزرعة الحيوانات التي فشلت في تسيير شؤون نفسها.

-3-

جاءت ترجمة صبري الفضل (الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1997) مقبولة إلى حد ما. فجهد المترجم ظاهر وهو يمشي جنباً إلى جنب مع النص الإنجليزي. لولا بعض الهنات التي يمكن الإشارة إليها بعجالة. فالمترجم كان يضيف جملاً تفسيرية، عندما تكون ترجمته غامضة أو غير مفهومه. وقد كان لذلك أثر أسلوبي بالغ على لغة الرواية، إذ نلاحظ جملة أورويل وهي تمتد وتطول، بعدما كانت جملة مشدودة وصافية وبلورية. هذا إضافة إلى مجموعة من الأخطاء النحوية والإملائية التي أثرت على الجانب اللغوي بكل تأكيد. كما أن مترجم النسخة المصرية يخلط أيضاً بين الأسماء، حدث ذلك أثناء حديثه عن مزرعة «فوكسوود» التي خلط اسمها باسم مزرعة «بينشفيلد»، لأن الأخبار الفظيعة شاعت عن مزرعة «فوكسوود» التي يملكها فريدريك الذي بدأت الحيوانات تحقد عليه.

وما يلفت الانتباه أن الرواية قام بمراجعتها مختار السويفي، علماً أن دور المراجع أو المصحح هو حسب عبارة الجاحظ: «يصلح الفاسد ويزيد الصالح صلاحاً». كل تلك الإساءات اللغوية والأسلوبية التي لحقت بترجمة **مزرعة الحيوان** إلى اللغة

العربية، هي في الحقيقة مشاكل صغرى ولكنها شديدة التأثير في التلقي الجمالي للرواية، إذ ماذا يبقى من سحر الكلمات إذا أسأنا إلى الكلمات؟ حتى لا نقول «موسيقى» الكلمات هي موضوع نزاع (واختصاص) بين مترجمي الشعر فقط. هذه هي خيانة صبري الفضل لرواية **مزرعة الحيوان**، حسب تلك الأسطورة المتجذرة عن خيانة المترجم.

أما الخيانة العظمى لهذا النص، فقد كانت من اقتراف محمد عيد العريمي التي ترجم **مزرعة الحيوان** بـ **رجيمة**، حسب تعبير عبد القادر الجنابي، نشرتها المؤسسة العربية للدراسات والنشر، في طبعة ثانية، سنة 2011. لقد تعسف العريمي على الحبكة الروائية: حذف مقاطع كاملة وأعاد صياغة فقرات وأحداث بطريقة مغايرة لما كتبه جورج أورويل. وحذف المقاطع التي فيها الوصف، وهنا لا تخفى وظيفة الوصف في الرواية. كما أخطأ في أسماء الشخصيات، فنسب أفعالاً لشخصيات لم تقم بها (انظر ص: 120 حيث نسب فعلاً لسنوبول، في حين أن من قام بذلك الفعل هو «سكويلر» الذي أمسك ورقة وبدأ يقرأ على الحيوانات مجموعة من الأرقام والنسب الخاصة بإنتاج أصناف الأغذية. كيف يقرأ سنوبول تلك النسب على الحيوانات في اجتماع يوم الأحد وهو مطارد ومبحوث عنه من قبل نابوليون قائد المزرعة الجديد وبقية كلابه الشرسة؟ كما تخلى حتى عن الأوصاف التي أطلقت على بعض الحيوانات.

إن إعادة ترجمة **مزرعة الحيوانات** ضرورة أدبية قصوى، فالنص، من خلال الأمثلة الموجزة التي سقناها أعلاه، لم ينتقل إلى العربية كما ينبغي لنص تبقى حاجتنا إليه ملحة، مادام الإنسان يعيش تجربة وجود ملؤها الحيف والظلم واللاعدل. والترجمات السابقة، مهما بلغ تقديرنا لها، لم تف بالغرض الترجمي المطلوب. لذلك نعتبرها تجريباً ترجمياً بادر إليه محبون لجورج أورويل العظيم.

المترجم

الفصل الأول

دفع السيد جونز صاحب «مزرعة القصر» مزلاج قن الدجاج، لكنه كان ثملاً جداً إلى درجة أنه نسي إغلاق الأبواب. أضاء لنفسه يميناً ويساراً بواسطة فانوسه، وهو يجتاز الحظيرة مترنحاً. قام بخلع حذائه، ودفع برجله باب المطبخ، فسكب من البرميل آخر كأس جعة ثم صعد إلى السرير، حيث كانت السيدة جونز تغط في النوم.

ما أن انطفأ نور الغرفة، حتى صدرت عن بنايات المزرعة رفرفة أجنحة، تحولت في ما بعد إلى ضجيج. لقد ترددت خلال اليوم إشاعة أن «العجوز ميجر» رأى حلماً غريباً، في الليلة الماضية، رغب في أن يتحدث فيه مع باقي الحيوانات. «العجوز ميجر» هو خنزير كان قد توج، أيام شبابه، بطلاً بين أبناء جنسه. فقد تبارى على لقب «جمال ويلينغدون»، لكنه كان بالنسبة إلى الجميع «الحكيم العجوز». اتفقت جميع الحيوانات على أن تجتمع في الحظيرة ما أن يختفي السيد جونز. كان «العجوز ميجر» يحظى باحترام كبير

إلى درجة أن الجميع كان مستعداً لتحمل السهر حتى يستمع إلى ما سيقوله.

اتخذ لنفسه مكاناً في أحد أطراف الحظيرة، فوق ما يشبه المنصة (كانت هذه المنصة سريره المصنوع من التبن المضاء بمصباح معلق في رافدة). يبلغ من العمر اثنتي عشرة سنة. اتخذ مع تقدم العمر بعض البدانة، يبدو متشبثاً بها، إلا أنه يبدو في مظهر لائق، متسامح حتى، رغم أنيابه السليمة. سيحضر باقي الحيوانات في ما بعد، سيتصرفون بحرية، كل واحد يتبع قوانين نوعه. في البداية حضر الكلب «بلوبيل» والكلبتان «جيسي» و«بينشر»، بعد ذلك الخنازير الذين تمرغوا في القش، أمام المنصة. حط الدجاج فوق دعامات النوافذ والحمام فوق روافد السقف. جلست الأبقار والخرفان في مكان وراء الخنازير، عندها شرعوا في الاجترار. بعد ذلك دخل حصانا العربة «بوكسر» و«كلوفر». يتقدمان بخطى صغيرة حذرة، يضعان بلطف حوافرهما النبيلة فوق التبن، خوفاً من أن يكون أحد الحيوانات لابداً تحته. كانت «كلوفر» فرساً رائعة متوسطة العمر، فقدت رشاقة جسدها الشاب منذ ولادة مهرها الرابع. أما «بوكسر» فهو حيوان ضخم، يتمتع بقوة حصانين. خط أبيض طويل يهبط حتى منخريه، الشيء الذي يعطيه مظهر الأبله إلى حد ما. لذلك، لم يكن «بوكسر» متفوقاً. ومع ذلك، فجميع الحيوانات تكنّ له الاحترام، لأنه يمكن الاعتماد عليه في تحمل الأشغال الشاقة. جاءت أيضاً

«موريل»، العنزة البيضاء، و«بنيامين»، الحمار. «بنيامين» هو أكبر حيوانات المزرعة وأكثرها حدة. يتمتع بطبع صريح إلى حد ما، وعندما يتكلم، عموماً، يصدر عنه مزاح وقح. يعلن، مثلاً، أن الله منحه ذيلاً لطرد الذباب، لكنه يفضل كثيراً لو كان بلا ذيل ولا ذباب. ومن بين كل حيوانات المزرعة، الوحيد الذي لا يضحك أبداً. وعندما يسأل عن السبب، يجيب بأن لا شيء يدعو للضحك. ورغم ذلك، ومن دون أن يوافق على ذلك، كان هو الصديق المخلص لـ «بوكسر». كان هذان الاثنان يقضيان عادة أيام الآحاد معاً، وهما يرعيان، داخل الأرض المسورة وراء الحديقة، من دون أن ينبسا بكلمة واحدة.

ما أن تمدد الحصانان فوق التبن، حتى اقتحمت الحظيرة مجموعة من فراخ البط، بعد أن فقدوا أمهم، وهم يزقزقون بصوتهم الصغير. انتشروا هنا وهناك، بحثاً عن مكان مناسب حيث لا يدوسهم أحد. صنعت لهم «كلوفر» سوراً برجلها الضخمة، تجمعوا وراءه ثم ناموا. تسللت إلى الحظيرة، في آخر لحظة، فرس أخرى معروفة باسم «موللي» (الجميلة البيضاء اللعوب التي يربطها السيد جونز إلى عربته)، وهي تمضغ قطعة من السكر. أخذت مكانها في الأمام وبدأت تتصنع حركات بعرفها الأبيض المزين بشرائط حمراء. وفي الأخير جاءت القطة. وبطريقتها المعتادة، ألقت على الجمع نظرة دائرية، مسترقة النظر إلى المكان الدافئ. وفي الأخير،

انزلقت بين «كلوفر» و«بوكسر». ما جعلها تموء برضى، ومن خطاب «الحكيم العجوز» لم تسمع كلمة واحدة.

كل الحيوانات الآن في الموعد، باستثناء «موسى»- وهو غراب مدجن ينام فوق مجثم، قرب الباب الخلفي- ينظر إليهم بهدوء وانتباه، تنحنح «العجوز ميجر» ثم بدأ بهذه الكلمات:

«أيها الرفاق، لقد سمعتم من قبل عن الحلم الغريب الذي رأيته في الليلة الماضية. غير أنني سأعود إليه بعد قليل. هناك شيء آخر أريد أن أحدثكم فيه. لا أنوي، أيها الرفاق، قضاء شهور أخرى بينكم. لكن قبل أن أموت أريد أن أقوم بواجب، لأنني أرغب في أن أجعلكم تستفيدون من الحكمة التي أعطيت لي. طيلة وجودي الطويل، كان لي، في هدوء زريبة الخنازير، وقت فارغ للتأمل. أعتقد أنني في مستوى الإقرار به: أنا أملك، عن طبيعة الحياة في هذا العالم، الكثير من الضوء مثلي في ذلك مثل أي حيوان آخر. هذا ما أرغب التحدث فيه معكم.

ما هي إذاً، أيها الرفاق، طبيعة وجودنا؟ للنظر إلى الأشياء بلا خوف: إننا نعيش حياة الكد، حياة البؤس، حياة قصيرة جداً. ما أن نأتي إلى العالم، يطعموننا ما نسد به رمقنا فقط، ومن يملك بيننا القوة المبتغاة يضطر إلى العمل إلى أن يسلم الروح. وفي اللحظة التي نصبح فيها غير نافعين، يذبحوننا بوحشية مفرطة. ما أن نمضي سنتنا الأولى على هذه الأرض، حتى يفتقد كل حيوان منا معنى كلمات مثل الراحة أو

السعادة. وعندما يرهقه الشقاء، أو العبودية، يصبح فاقداً للحرية. هذه هي الحقيقة البسيطة.

هل ينبغي أن نكون جميعاً متساوين بقرار من الطبيعة؟ هل بلدنا إذاً فقير فقراً مدقعاً حتى لا يستطيع أن يمنح للذين يقيمون فيه حياة كريمة ولائقة؟ كلا، أيها الرفاق، ألف مرة كلا. خصبة أرض إنجلترا وملائم مناخها. من الممكن تغذية عدد من الحيوانات بوفرة أكثر بكثير من الذين يعيشون هنا. هذه المزرعة وحدها يمكن أن تلبي حاجيات دزينة من الأحصنة، وعشرين بقرة، ومئة خروف، كلهم يمكن أن يعيشوا في رفاهية الحياة الكريمة. المشكلة هي أننا غير قادرين على تخيل شيء مثل هذا. لكن بما أن هذه هي الحقيقة المحزنة، لماذا نحن دائماً خاملون في وضعية تثير الشفقة؟ لأن الإنسان يسرق كل نتاج عملنا، أو جله. أيها الرفاق، هنا يوجد الجواب عن مشاكلنا. كل شيء قائم في كلمة واحدة: الإنسان. لأن الإنسان هو وحده عدونا الحقيقي. لنعمل على إزالته، وهكذا نستأصل جذر الشر، لأننا نحن كلما عملنا بكد وبلا انقطاع عشنا في فقر مدقع.

الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يستهلك دون أن ينتج. فهو لا يعطي الحليب، ولا يضع البيض، وهو واهن إلى درجة أنه لا يستطيع دفع العربة، وبطيء بحيث لا يستطيع الإمساك بأرنب. ومع.ذلك فهو سيد كل الحيوانات. فهو يوزع الأعمال بينهم، لكنه لا يمنحها بالمقابل إلا قوتاً يومياً هزيلاً

يساعدها على البقاء حية، ثم يحتفظ لنفسه بالباقي. من يحرث الأرض؟ نحن! من يخصبها؟ روثنا! ورغم ذلك لا وجود لأحد بيننا يملك أكثر من جلده. أنتن أيتها البقرات اللواتي أمامي، كم من مئات اللترات من الحليب أعطيتن السنة الماضية؟ وما مصير هذا الحليب الذي كان من الممكن أن ترضعن به صغاركن، ومنحهم القوة والنشاط؟ من كل قطرة التذ عدونا وشفى غليله. وأنتن أيتها الدجاجات، كم من بيضة وضعتن هذه السنة؟ وكم بيضة حضنتن؟ كل الأخريات بيعت في السوق، لإغناء جونز ورجاله! وأنت، يا دوس، أين المهرات الأربع التي جئت بها إلى الوجود، والتي يمكن أن تكون عزاء لأيام شيخوختك؟ كل واحدة بيعت في سنتها الأولى، ولن تريها أبداً! في مقابل ولاداتك الأربع والعمل في الحقول، ماذا أعطوك؟ حصة ضئيلة من الحشيش زائد مربط في الإسطبل!

وحتى حيواتنا البئيسة تنطفئ قبل الأوان. أما أنا، فلا أملك ما يكفي من الفظاظة، مثل تلك التي يملكها المحظوظون. ها أنا في الثالثة عشرة من عمري، أنجبت أكثر من مئة خنزير. تلك هي حياة الخنازير الطبيعية، لكن في النهاية لا يفلت أي حيوان من السكين الكريه. أنتم، أيتها الخنازير اليافعة الجالسة هنا لتنصت لما أقول، كل واحد منكم خلال اثنتا عشرة شهراً، سيصرخ من الألم الفظيع وهو يعدم. وأمام هذه الفظاعة وهذه النهاية، كلنا مرغمون، أبقاراً

وخنازير، خرافاً ودجاجاً، ولا أحد معفى من ذلك. وحتى الخيول والكلاب ليس لها مصير آخر تحسد عليه. أنت، يا «بوكسر»، يوم تفقد عضلاتك الشهيرة قوتها ووظيفتها، سيبيعك «جونز» للقصاب، والقصاب سيقطع حنجرتك. سيطبخ بقاياك على نار هادئة، وسيطعمها لرهط كلابه. وحتى الكلاب نفسها، عندما تفقد أسنانها وتصبح خارج العمر، سيضع «جونز» حجرة كبيرة على عنقها ويغرقها في أقرب مستنقع.

أيها الرفاق، أليس الأمر واضحاً صافياً مثل ماء النبع؟ كل آلام حياتنا مصدرها الإنسان، وما ننتجه عن طريق عملنا سيكون لنا. إننا يمكن أن نصبح أغنياء وأحراراً بين ليلة وضحاها. من أجل هذه النهاية، ما العمل؟ حسن، ينبغي أن نعمل نهاراً وليلاً، جسداً وروحاً، لإسقاط الجنس البشري. هذه هي رسالتي، أيها الرفاق. لنقم بثورتنا! متى موعد الثورة، هذا ما أجهله. خلال أسبوع ربما أو خلال قرن. لكن، مثلما أشعر بالقش تحتي، فإن العدل سيحل عاجلاً أم آجلاً. لا ترفعوا أعينكم عن الهدف، أيها الرفاق، طيلة ما بقي من سنين عمركم. لكن قبل كل شيء، بلغوا قناعاتي لمن سيأتون بعدكم، حتى تتابع الأجيال القادمة النضال حتى النصر النهائي.

تذكروا هذا أيها الرفاق: لا ينبغي أن يفتر عزمكم. إن أخطاءكم الجسيمة غير مبررة. لا تنصتوا لمن يقول لكم إن

هناك مصالح مشتركة تجمع بين الإنسان والحيوان، هل تصدِّقون فعلاً أن نجاح أحدهما مرهون بنجاح الآخر؟ هذه مجرد أكاذيب. الإنسان لا يعرف مصالح أخرى غير مصالحه. إذاً، فلتسد، بين الحيوانات، طيلة فترة المقاومة، الوحدة المطلقة والتضامن الذي لا يشوبه أي تصدع. الإنسان هو العدو. والحيوانات كلهم رفاق».

في هذه اللحظة حدثت ضجة كبيرة. وعندما أنهى «العجوز ميجر» خاتمته الثورية، ظهر أربعة جرذان ضخمة، خرجوا صدفة من جحورهم وجلسوا يستمعون. الكلاب رأتهم، لم يجد الجرذان الأمان إلا في العودة بسرعة إلى الجحر. عندئذٍ رفع «العجوز ميجر» رجله لطلب الصمت.

«أيها الرفاق، قال، هناك سؤال ينبغي أن نجيب عنه. هل ينبغي أن نعتبر المخلوقات المتوحشة، مثل الفئران والأرانب، حلفاء أم أعداء؟ أقترح عليكم اتخاذ القرار. على الحاضرين أن يبدوا رأيهم في الاقتراح الآتي: الجرذان هل هم رفاقنا؟».

تم التصويت من جديد، وبالأغلبية الساحقة تقرر اعتبار الجرذان بمثابة رفاق. أربعة أصوات فقط كانت ضد: الكلاب الثلاثة والقطة (سيتم اكتشاف أنها صوتت مع وضد في ما بعد). استأنف «العجوز ميجر» الكلام:

«لم يبق لي إلا القليل لأضيفه. أتمسك بتذكيركم مرة أخرى بأن عليكم أن تظهروا، كلما سنحت الفرصة، عدوانيتكم تجاه الإنسان وكل تصرفاته. العدو هو كل من

يمشي على قدمين، والصديق هو من يمشي على أربع أو يطير. لا تنسوا أيضاً أن المعركة ذاتها لا ينبغي أن تغيرنا فنصبح مثل العدو. وحتى عندما ننتصر عليه، يجب أن نحتاط من رذائله. لن يسكن الحيوان بيتاً أبداً، ولن ينام على سرير أو يرتدي ثياباً، لن يشرب الخمر أو يدخن تبغاً، لن يلمس نقوداً، ولن يعمل في التجارة. فكل عادات الإنسان هي عادات سيئة. والأهم من ذلك كله، هو ألا يستبد حيوان بحيوان آخر. عندما يصبح الكل إخوة، يختفي الفرق بين القوي والضعيف، بين الذكي والساذج. أبداً لن يقتل حيوان حيواناً آخر. كل الحيوانات متساوون.

والآن، أيها الرفاق، سأقص عليكم حلمي الذي رأيته ليلة الأمس. غير أنني لن أستغرق وقتاً طويلاً في وصف تفاصيله. لقد ظهرت لي الأرض وهي خالية من الإنسان، وقد جعلني ذلك أتذكر من جديد شيئاً مدفوناً في عمق ذاكرتي. منذ زمن طويل، وأنا خنزير رضيع، كانت أمي وبقية صديقاتها تغنين أحياناً أغنية لا يعرفن منها إلا اللحن، الكلمات الثلاث الأولى. غير أن تلك الأغنية حضرت بكل كلماتها في حلم الليلة الماضية. وأنا متأكد أن الحيوانات كانت تغني تلك الكلمات، قبل أن تضيع في ليل الأزمنة. غير أنني اليوم، أيها الرفاق، سأغنيها أمامكم. لقد تقدمت في العمر، ذلك مؤكد، وصوتي أصبح أجش، لكنكم عندما تتمكنون من اللحن، ستجدون أنفسكم فيها أفضل مني. عنوانها هو «حيوانات إنجلترا»».

تنحنح «العجوز ميجر» وبدأ يغني. كان صوته أجش، مثلما قال، لكنه أداها بنجاح. اللحن يعبر عن الحب الدائم وعن كوكاراشا، ويمكن أن نقول إنه كان مليئاً بالحماسة والحيوية. هذه هي كلمات الأغنية:

حيوانات إنجلترا وإيرلندا،
حيوانات كل البلدان،
أصغوا إلى الأمل
لقد وعدتم بعصر ذهبي

الإنسان الظالم مصادر
ستعرفِ حقولنا الخصب،
نحن فقط من سيطؤها،
لقد جاء يوم الخلاص.

ستختفي الحلقات من الأنوف
ستختفي السروج من ظهورنا،
ستسقط السياط المجرمة
المهاميز والشكائم إلى الخراب.

الثروات ستتجاوز أحلامنا
القمح والشعير والتبن، أجل،
البرسيم، الجلبان والشمندر
سيكون لكم منذ اليوم.

أوه، كم ستسطع كل حقولنا،
كم ستصبح المياه هنا نقية،
والريح ستهب بحنو
في اليوم الذي سنتحرر فيه.

أبقار، خيول، إوز، وديوك رومية،
حتى وإن متنا قبل الأوان،
علينا أن نستعد لذلك اليوم،
كل كائن سيصبح حراً.

حيوانات إنجلترا وإيرلندا
حيوانات كل البلدان
أصغوا جيداً للأمل
لقد وعدتم بالعصر الذهبي.

أحدث غناء بهذه الطريقة العجيبة عند الحيوانات الحماس، الحمى والهيجان. وما كاد «الحكيم العجوز» ينهي المقطع الأخير حتى اتفقت كل المشاعر حولها. وحتى أكثر الحيوانات غباء حفظت اللحن وأيضاً بعض مقاطع الكلمات. بينما تمكنت الحيوانات الأكثر ذكاء، مثل الخنازير والكلاب، من حفظها كاملة في بضع دقائق. وبعد بعض الترديدات المرتجلة، صاتت المزرعة بأكملها بنبرة عسكرية، كانت هي

خوار الأبقار ونباح الكلاب وثغاء الخرفان وصهيل الخيول وأصوات الكنار. *حيوانات إنجلترا، حيوانات كل البلدان*: هذا ما أنشدوه في لحن جماعي بمختلف الطرق، بالحماس نفسه الذي تردد خمس مرات متتالية من الأول إلى الآخر. ولو لم يقع ما أوقف حماستها، لاستمر ذلك طوال الليل.

للأسف استيقظ السيد «جونز» بفعل الضجة، سقط من فوق السرير، ظاناً أن ثعلباً تسلل إلى الساحة. حمل بندقيته التي يحتفظ بها دائماً في زاوية من غرفة النوم، فأطلق رصاصة في الظلمة. استقرت الرصاصة على جدار الحظيرة، إلى درجة أن الحيوانات أنهت اجتماعها وسط الغموض. سارع كل حيوان إلى مكان نومه، ذات الأربع أرجل إلى القش، الطيور إلى مجاثمها. وما هي إلا لحظة، حتى غطت كل مخلوقات المزرعة في النوم.

الفصل الثاني

ثلاث ليال بعد ذلك، توفي «العجوز ميجر» بهدوء أثناء النوم، ودفن في أسفل الحديقة.

حدث ذلك في أوائل مارس. وخلال الأشهر الثلاثة التي تلت ذلك، كان العملُ بمثابة نشاط سري كبير. لقد أيقظ خطاب الحكيم العجوز في العقول الأكثر تفتحاً احتمالات وقوع شيء جديد ومثير. لم تكن الحيوانات تعرف متى ستقع الثورة التي أعلن عنها النبي، ولم يكن هناك ما يجعلهم يعتقدون أن ذلك سيحدث خلال حياتهم، لكنهم رأوا أنه من واجبهم وضع الأسس. إن المهمة المزدوجة المتمثلة في التكوين والتنظيم هي طبعاً ملقاة على عاتق الخنازير التي ينظر إليها عموماً على أنها النوع الأكثر ذكاء. وكان من بين الخنازير الأكثر تفوقاً اثنان هما «سنوبول» و«نابوليون»، وهما ذكران يافعان كان السيد جونز يربيهما قصد الربح. كان نابوليون ضخماً ومهيباً، والوحيد في المزرعة. قليل الكلام، ومعروف عنه أنه يعرف ماذا يريد. أما «سنوبول» فهو أكثر حيوية، بعقل

دقيق وخلاق، ومشهور بسوء أخلاقه. وكل باقي خنازير المزرعة كانت من أجل إنتاج السماد. الأكثر شهرة من بينهم، هو «سكويلر»، وهو خنزير قذر، سمين وقصير القامة، يثير الانتباه بواسطة صوته الحاد وعينه الماكرة. نلاحظ أيضاً خديه الممتلئين وحركاته المرحة. كان «سكويلر»، في الأخير، متحدثاً بارعاً، أثناء النقاشات الصعبة، يقفز في مكانه ويضرب الهواء بذيله. كان هذا الفن يمارس تأثيره الكبير أثناء النقاش. لذلك يتفق جميع الحيوانات على القول إن «سكويلر» يستطيع أن يجعلك ترتكب أخطاء كبيرة.

انطلاقاً من تعليمات الحكيم العجوز، أعد الثلاثة - نابليون، «سنوبول» و«سكويلر»- نظاماً فلسفياً متماسكاً أطلقوا عليه اسم «الحيوانية». طيلة عدة ليال في الأسبوع كانوا، ما أن يخلد السيد جونز إلى النوم، يجتمعون سرياً في الحظيرة ليعرضوا أمام الآخرين مبادئ «الحيوانية». كانوا في البداية يجدون أنفسهم أمام اللامبالاة والبلاهات الأكثر قذارة. فبعض الحيوانات تمسكوا بواجب الوفاء للسيد جونز الذي يعتبرونه سيدهم، أو أنهم كانوا يبدون ملاحظات تبسيطية، من قبيل: «السيد جونز هو من يطعمنا، وبدونه سننفق من الجوع»، أو: «لماذا نكترث بما سيحدث بعد نفوقنا؟»، أو أيضاً: «إذا كانت الثورة ستتحقق في النهاية، فأن نعمل من أجل تحقيقها أو لا نعمل سيان»، بحيث إن الخنازير وجدت صعوبة كبيرة في التوضيح للحيوانات أن هذه وجهات النظر مخالفة لروح

«الحيوانية». أما الأسئلة الأكثر سخافة فتلك التي طرحتها المهرة البيضاء «موللي». لقد بدأت في مساءلة «سنوبول»:

- «بعد الثورة، هل سيكون السكر متوفراً؟»

- لا، أجابها «سنوبول»، بنبرة قاطعة. ليس لنا في هذه المزرعة الوسائل لصناعة السكر. على كل حال، السكر شيء غير ضروري. سنوفر لك العلف والخرطال الذي تحتاجين إليه.

- هل سيسمح لي بوضع شرائط في عرفي؟

- «أيتها الرفيقة»، أجاب «سنوبول» بسرعة، «هذه الشرائط التي تتعلقين بها هي شعار عبوديتك. ألا يمكنك أن تتصوري أن للحرية ثمناً أغلى من هذه الزينة التافهة؟»

أبدت «موللي» موافقتها من دون أن يظهر عليها أنها مقتنعة.

وجدت الخنازير صعوبة كبيرة في دحض الأكاذيب التي يروجها موسى، الغراب المدجن الذي كان عزيزاً على السيد جونز. كان لموسى الواشي، بل والمخبر الحقيقي، لسان طليق. كان يدعي وجود بلد سري، يقال له «جبل الحلوى»، تعيش فيه كل الحيوانات بعد الموت. يوجد «جبل الحلوى»، حسب موسى، في السماء، وراء الغيوم قليلاً. وكان يذهب كل يوم أحد ليقيم فيها. ينبت فيها عشب النفل طيلة السنة، وقطع السكر متوفرة على سياجات الحقول. كانت الحيوانات تكره موسى بسبب هذه الترهات، ولأنه لا يكد مثلهم، ولكن

رغم كل شيء بدأ بعضهم يصدق وجود «جبل الحلوى» هذا، والخنزيران وجدا صعوبات كبيرة في صرفهم عن ذلك.

كان لهذين الخنزيرين مريدان من بين الأكثر وفاء، هما حصانا الجر «بوكسر» و«كلوفر». كانا معاً يجدان صعوبة كبرى في تكوين آراء خاصة بهما، لكن، منذ أن أصبح الخنزيران هما سيديهما في التفكير، بدءا يتمثلان كل ما يتعلمانه منهما، فينقلانه إلى بقية الحيوانات معززاً بحجج غاية في البساطة. لم يتغيبا ولو مرة واحدة عن الاجتماعات السرية في الحظيرة، وهناك كانا يدفعان الآخرين إلى ترديد أغنية «حيوانات إنجلترا». فكانت الاجتماعات تنتهي بهذا النشيد.

يبدو أن الثورة ستكتمل في وقت قريب وبسهولة أكثر لا ينتظرها أي أحد. وعلى مر السنين، ومع أن السيد جونز كان قاسياً مع الحيوانات، فقد أبان عن قدرة جعلته في مستوى مهمته. لكنه دخل منذ وقت قريب في مرحلة صعبة. لقد فقد نشاطه في العمل بعد دعوى قضائية خسر فيها كثيراً، فبدأ يسرف في الشرب. كان يقضي أياماً كاملة على مقعد في المطبخ يقرأ الجرائد وكأس الجعة في يده، يبلل فيه بين الفينة والأخرى فتات خبز العصافير ويعطيه لموسى. وعمال المزرعة كانوا غشاشين وخاملين، فامتلأت الحقول بالأعشاب الضارة، وأسيجة أهملت، وأسقف البنايات مهددة بالسقوط، وحتى الحيوانات نفسها لم يعد لها ما يكفيها من العلف.

جاء شهر يونيو، وموعد الحصاد اقترب. وليلة القديس

جان التي صادفت يوم سبت، ذهب السيد جونز إلى «ويلينغدون». وهناك ثمل في حانة «الأسد الأحمر»، ولم يعد إلى بيته في المزرعة إلا يوم غد الأحد، في نهاية الصباح. كان عماله في المزرعة قد حلبوا الأبقار في الصباح الباكر، ثم ذهبوا لصيد الأرانب، دون أن يطعموا الحيوانات. وعند عودته استرخى السيد جونز فوق المقعد ومائدة الأكل فنام وعلى وجهه جريدة يومية تنشر الأخبار المثيرة. حل الليل، والحيوانات لم تطعم. وفي الأخير، لم تستطع الصمود لوقت طويل، فغرزت إحدى البقرات قرنيها في باب المستودع، فبدأت كل الحيوانات تكسر صناديق وعلب القمامة. في تلك اللحظة استيقظ السيد جونز. في اللحظة التي تلت، أسرع رفقة عماله الأربعة إلى المستودع كل واحد يحمل سوطاً في يده. وفوراً انهالت الضربات من كل اتجاه. وكان ذلك يفوق تحمل الحيوانات الجائعة. وباتفاق جماعي ومن دون تخطيط مسبق، انقضت الحيوانات الجائعة على جلاديها. وهاهم الرجال الخمسة يتعرضون للرفس وللنطح، متحولين إلى ضحايا. وهي وضعية غير مقبولة، لأنهم طيلة حياتهم لم يروا أسيادهم الحيوانات تتصرف بهذه الطريقة الغريبة. فمن اعتادوا الإساءة إليهم، والتنافس على ضربهم، هاهم يخافون منهم اليوم. أمام الثورة، فقد الرجال صوابهم، فاستسلموا في المعركة، وولوا الأدبار. وسط الهزيمة، هربوا عبر الدرب المؤدي إلى الطريق، والحيوانات المنتصرة تطاردهم.

من نافذة الغرفة، رأت السيدة جونز ما حدث، رمت بسرعة بعض الأغراض في الحقيبة وانسلت خارج المزرعة، لا من رأى ولا من سمع. قفز موسى من فوق مجثمه، خفق بجناحيه وتبعها وهو ينعب بملء حنجرته. في أثناء ذلك، ودائماً في مطاردة الرجال الخمسة وهم يركضون على الطريق، أغلقت الحيوانات الأبواب في وجه الجلادين الخمسة. هكذا، وقبل أن ينتبهوا لذلك تقريباً، حدثت الثورة: لقد تم طرد جونز، فأصبحت «مزرعة القصر» في ملكهم.

طيلة دقائق، بقوا مذهولين ولم يصدقوا الثروة التي أصبحت بين أيديهم. أول رد فعل صدر عنهم كان هو القفز حول الملكية، كما لو للتأكد من عدم وجود أي إنسان يختبئ. بعد ذلك، انطلق الوفد ركضاً نحو ملحقات المزرعة لمحو آخر أثر من النظام المقيت. كسرت الحيوانات باب غرفة السروج الموجودة في آخر الإسطبلات، ثم رموا في البئر الخطامات والشكائم وحلقات الأنف، وتلك السكاكين القاتلة التي كان جونز ومعاونوه يستعملونها لخصي الخنازير والحميلات. الأعنة، الأرسنة، الكمامات، الخطامات المخزية كلها رميت في ركام القمامة التي تحترق في الساحة. وكذلك بالنسبة إلى السياط التي ما أن رأتها الحيوانات تحترق حتى شعرت بالسعادة وبدأت تقفز. قذف «سنوبول» أيضاً إلى لهب النيران تلك الشرائط التي يزين بها عرف وذيل الخيول أيام السوق.

«الشرائط، قال مؤكداً، هي شبيهة بالملابس. وهذه الأخيرة تشير إلى جنس الإنسان. على الحيوانات أن يذهبوا عراة».

عندما سمع هذه الكلمات، بدأ «بوكسر» يبحث عن قبعته الصغيرة المصنوعة من القش التي كان يضعها كل صيف ليحتمي من الذباب، ووضعها في النار، مع ما سبق رميه.

ستعمل الحيوانات في ما بعد على تدمير كل ما يذكرهم بالسيد جونز. رافقهم نابليون إلى المستودع، ووزع على كل واحد حصة مزدوجة من القمح، وقطعتين من البسكويت لكل كلب. وفي النهاية أنشدت الحيوانات أغنية «حيوانات إنجلترا»، من البداية إلى النهاية، سبع مرات متتالية. بعد ذلك، استقرت في مرابضها، ونامت كما لم تنم من قبل.

لكنها استيقظت في الفجر، كعادتها. وفجأة تذكرت نصرها الجديد، وأسرعت وهي تقفز إلى المراعي. ثم توجهت نحو تلة تطل تقريباً على كل المزرعة. وما أن وصلت القمة، حتى اكتشفت مجالها في ضوء الصباح الناصع. نعم، إنه ينتمي إليها منذ الآن. كل ما تراه بعيونها ينتمي إليها. ابتهجت لهذه الفكرة، وثبت وقفزت، تدحرجت فوق الأزهار ورعت عشب الصيف الطري. وبحوافرها راحت تقتلع أجزاء صغيرة من الأرض، كي تشم جيداً التراب العطر. ثم بدأت تفتش أرجاء المزرعة، كانت، وهي خرساء من الإعجاب، تحتضن كل شيء بأنظارها: الأراضي المحروثة والحشائش

والمرعى وبركة الماء والغابة الصغيرة. كما لو أنها لم تر شيئاً من المجال كله، حتى أنها أيضاً لم تصدق إلا بصعوبة بأن كل ذلك هو في ملكيتها.

عادت الحيوانات في صف واحد إلى مباني المزرعة، وأمام عتبة المنزل وقفت بصمت. أوه، بكل تأكيد، البيت أيضاً في ملكيتهم، لكن، وهم مفزوعون، خافوا من الدخول إليه. بعد لحظة، كسر نابليون وكرة الثلج الباب بأكتافهما، فتبعتهما الحيوانات، واحداً بعد الآخر، بخطى حذرة، خوفاً من أي إزعاج. والآن بدأت في التجول على أطراف الأصابع، وبصعوبة تهمس لبعضها بعضاً. ثم وقفت مذهولة أمام ترف لا يصدق: أسرة مبطنة بالريش، مرايا، أريكة مصنوعة من وبر حصان، موكيت من بروكسيل، رشمة الملكة فيكتوريا فوق المدفأة.

وعندما هبطت الحيوانات الأدراج، لم تعثر على «مووللي» هناك. وعندما اقتفت أثرها، لاحظت أنها بقيت في غرفة النوم الفسيحة. لقد استولت على قطعة شريط أزرق فوق منضدة السيد جونز، وتتأمل نفسها بإعجاب في المرآة وهي تضع الشريط على كتفها، وتقوم بحركات تافهة. وبختها الحيوانات الأخرى بشدة وانسحبت. انتزعت بعض الجانبون المعلقة في المطبخ كي تدفنها، وبضربة حافر قوية شق «بوكسر» برميل الجعة الموجود في غرفة الخدمة. خلاف ذلك، كل شيء بقي سليماً. اقتراح واحد صوت عليه لصالح الإنسانية، يقضي

بتحويل المنزل إلى متحف. وبذلك اتفقت الحيوانات على ألا يسكنه أحد.

بعد تناول وجبة الإفطار، دعا «سنوبول» و«نابليون» باقي الحيوانات إلى اجتماع مفتوح.

«أيها الرفاق، قال «سنوبول»، إنها السادسة والنصف، وما زال يوم بكامله ينتظرنا. سنجز الحشائش من دون انتظار، لكن هناك سؤال ينبغي أن نتخذ فيه قراراً قبل كل شيء».

كشفت الخنازير أنها تعلمت القراءة والكتابة، في الأشهر الثلاثة الأخيرة، بفضل كتاب تهجئة قديم خاص بأطفال جونز (لقد رموه في كومة قمامة، ومن هناك أخذته الخنازير). بعد ذلك طلب نابوليون وعاء صباغة بيضاء وسوداء، وقاد الحيوانات إلى السياج المصنوع من خمسة قضبان. هناك كان يقف «سنوبول» (لأنه الوحيد الذي يجيد الكتابة) أمسك برجله فرشاة وبدأ يمر على القضيب الأعلى طبقة من الصباغة كي تغطي الكلمات: «مزرعة القصر». ثم كتب عوضها: «مزرعة الحيوان». لأن هذا هو الاسم الذي سيطلق منذ اليوم على مكان الاستغلال الزراعي هذا. وعندما انتهت هذه العملية، التحق الجميع بالأمكنة الأخرى التابعة للمزرعة. أرسل نابوليون و«سنوبول» في طلب سلم تم وضعه على حائط الحظيرة. وفسرا كيف أنه طيلة ثلاثة أشهر من الدراسة تمكن الخنازير من التوصل إلى اختصار مبادئ «الحيوانية» في سبع وصايا. وها قد جاء الوقت لتدوين الوصايا السبع على

الحائط. وستكون قانوناً غير قابل للتغيير في حياة كل من يعيش على أرض «مزرعة الحيوان». وجد «سنوبول» صعوبة كبيرة في تسلق الدرجات (بالنسبة إلى خنزير، الحفاظ على التوازن فوق سلم ليس أمراً مريحاً) وبدأ في العمل. «سكويلر»، تحته بدرجات قليلة، يمد له وعاء الصباغة. وبهذه الطريقة بدأوا في الإعلان عن الوصايا السبع، بحروف بيضاء كبيرة، على الحائط الأسود. يمكن قراءتها على مسافة ثلاثين متراً. هذا هو نصها:

1- كل من يسير على قدمين هو عدو.

2- كل من يسير على أربعة أقدام وكل طائر هو صديق.

3- يمنع على الحيوان ارتداء الملابس.

4- يمنع على الحيوان النوم فوق سرير.

5- يمنع على الحيوان شرب الخمر.

6- يمنع على الحيوان قتل حيوان آخر.

7- كل الحيوانات متساوية.

كتبت الوصايا بطريقة جيدة، باستثناء أن «كل طائر» كتبت «كل من يطير». وقام «سنوبول» بقراءة الوصايا على الحيوانات التي لا تعرف القراءة. وكلهم كانوا يومئون برؤوسهم تعبيراً عن رضاهم، أما الأكثر ذكاء فقد بدأوا في حفظ الوصايا السبع عن ظهر قلب.

«والآن أيها الرفاق، هيا إلى الحشائش. صرخ

«سنوبول». إنه لشرف لنا أن نجني الحصاد بسرعة أكبر مما كان يفعله جونز ومعاونوه».

غير أنه في تلك اللحظة بدأت البقرات الثلاث اللاتي ظهر عليهن المرض منذ مدة، تخُرنَ بطريقة تثير الشفقة. لقد مضى عليهن أربع وعشرون ساعة لم تحلب، وضرعها كان على وشك الانفجار. بعد تفكير سريع، طلبت الخنازير إحضار دلاء وبدأت مهمة حلب الأبقار. والنتيجة كانت الكثير من الحليب، لأن أرجل الخنازير توافق هذه المهمة. امتلأت خمسة دلاء من الحليب المليء بالقشدة والزبد، الشيء الذي استرعى باهتمام العديد من الحيوانات. فسأل أحدهم:

«ماذا سنفعل بكل هذا الحليب؟

أجابت إحدى الدجاجات:

- كان جونز أحياناً يضيفه إلى العصيدة.

وقف نابوليون أمام الدلاء وصرخ:

- لا تحملوا هم الحليب، أيها الرفاق. سنهتم به. الحصاد هو المهم. سيتقدمكم «سنوبول» على الطريق. سأكون هناك بعد قليل. إلى الأمام، أيها الرفاق. العشب ينتظركم».

انتقلت الحيوانات إلى الحقول وشرعت في الحصاد، وعند عودتها في الليل تبين لها أن الحليب قد اختفى.

الفصل الثالث

كم كانوا يكدون ويشقون كي يجنوا العلف، لكن مجهوداتهم كوفئت بغلة أوفر بكثير مما كانوا يعتقدون.

كان العمل في بعض اللحظات شاقاً جداً. فالأدوات المستعملة صنعت من أجل الإنسان وليس من أجل الحيوان، فكان هذا الأخير يتحمل التبعات. وهكذا، لم يكن في استطاعة أي حيوان أن يستعمل أقل أداة ترغمه على البقاء واقفاً على قائمتيه الخلفيتين. ومع ذلك، فقد كانت الخنازير أكثر ذكاء حتى أنها وجدت حلاً لكل مشكلة. أما الخيول، فكانت تعرف كل شبر من الأرض، وماهرة في الحصاد والمشط أفضل من «جونز» ورجاله طيلة حياتهم. وبعبارة واضحة، لم تكن الخنازير تعمل: لقد كانت توزع العمل وتسهر على حسن تنفيذه. وبحكم معرفتها العالية، فقد كان من الطبيعي أن تتولى القيادة. انكب «بوكسر» و«كلوفر» وحدهما على أداة الجز أو المحشَّة (العنان والشكيمة لم يعودا ضروريين، بلا شك) فكانا يمسحان الحقل طولاً وعرضاً، في أثرهما خنزير. هذا الأخير

يصرخ: «حا، دي، أيها الرفاق» أو «هولا، هو، يا رفاق»، حسب ما يقتضيه الوضع. فتبدأ الحيوانات، حتى أضعفها في العمل على تيبيس الحشيش وجمعه. حتى طيور الكناري والدجاج يمشون ويجيئون تحت الشمس من دون توقف، وهم يحملون في مناقيرهم أليافاً صغيرة. وهكذا انتهى الحصاد قبل الموعد بيومين، كما كان الأمر أيام «جونز». وأكثر من ذلك، فقد كان محصول العشب بكمية وافرة لم تعرفها المزرعة قط. كما لم يكن هناك تبدير، لأن الدجاج وطيور الكناري، وهي حيوانات لها عيون حادة، التقطت أدق قشة. ولم يقم أي حيوان بسرقة لقمة واحدة.

تقدم العمل طيلة الصيف بدقة تشبه الساعة. فاقت سعادة الحيوانات كل توقعاتها. فكل لقمة من عرق جبينهم يكون لها طعم شهي. لأنه منذ الآن أصبح هذا المكان هو مصدر كلئهم الذي صنعوه منهم ولهم، وليس صدقة يمنحها على مضض سيد مقتِّر. وما أن تحرروا من البشر الأوباش- الذين لا يصلحون لشيء، الطفيليون- أصبح كل واحد منهم يتلقى عن طريق القسمة نصيباً وافراً. وبالرغم من قلة تجربتهم، فقد أصبحوا يتمتعون بأوقات الفراغ.. أوه، لقد كان عليهم مواجهة صعوبات كثيرة. هكذا، عند قدوم سنة وزمن موسم الحصاد، سيقومون بدرس القمح على طريقة الماضي، وعزل القنبع عن حبوب القمح، بواسطة آلة حصاد غير صالحة في المزرعة. لكن عقلية جمع الثروة لدى الخنازير، وقوة عضلات «بوكسر»

تساعدهم دائماً على إيجاد الحل. كان «بوكسر» محط إعجاب الجميع. فقد كان معروفاً في عهد «جونز» بقوة الاحتمال، وبذلك فقد كان يعمل بقوة ثلاثة خيول. حتى أنه، في بعض الأيام، كان يبدو أن كل عمل المزرعة ملقى على رقبته القوية. منذ الصباح وحتى حلول الليل، وهو يدفع، ويجر، وهو دائم الحضور في أقسى لحظات العمل. فقد اتفق مع ديك شاب كي يوقظه نصف ساعة قبل الآخرين، وباستباق زمن يوم رئيسه المباشر وخطة عمله، يكون قد تطوع للأعمال المستعجلة. وأمام كل مشكلة وكل سوء، كان يضع حكمته: «سأعمل بجهد أكبر». هذه هي عملته.

لكن، كل واحد كان يعمل حسب طاقته. هكذا، كان الدجاج وطيور الكناري يلتقطون عشر صاعات من الحبوب المبعثرة هنا وهناك. ولا أحد يسرق أو يتذمر من طعامه: فكل عراك أو خصام عابر أو مزاج نافر من الذي كان في الماضي عملة رائجة، لم يغد له اليوم مكان. لم يعد أحد يتكاسل، تقريباً لا أحد. لم تكن «موللي» تستيقظ باكراً، لنعترف بذلك، كما أنها لا تخفي ميولها إلى الانصراف من موقع العمل في وقت مبكر، وتتذرع بأن حصاة في الحافر تزعجها. كما أن تصرف القطة غريب شيئاً ما. تم الانتباه بسرعة إلى أنها تكون غائبة حين يقتضي العمل حضورها. تختفي طيلة ساعات متتابعة وتظهر في موعد الوجبات، أو في الليل عندما ينتهي العمل، كما لو أن شيئاً لم يحدث. لكنها كانت تعثر على

أعذار جيدة، وتموء بطريقة تثير العطف، مما يجعل نواياها غير معرضة للريبة. أما «بنيامين»، الحمار المسن، فقد بقي على حاله منذ اندلاع الثورة. كان يلتزم بالقيام بعمله بالطريقة البطيئة والعنيدة نفسها، أبداً من دون شخير، لكن من دون حماس زائد. وعن الثورة ونتائجها لا يدلي بأي رأي. وعندما يسأل هل تغير مصيره نحو الأفضل منذ إبعاد «جونز»، كان يقول: «الحمير تعيش حياة صعبة. لم ير أحد منكم حماراً وهو يموت»، ويجب الاقتناع بهذا الجواب الغامض.

الأحد هو يوم عطلة، يقدَّم فيه الإفطار متأخراً ساعة عن المعتاد. وبعد ذلك تتم إقامة الحفل الذي يتجدد كل أسبوع. في البداية يتم رفع الألوان. حصلت «سنوبول» من المسرجة على غطاء مائدة أخضر عتيق، كان في ملكية السيدة «جونز»، فرسم عليه بالأبيض قرناً وحافراً. هكذا إذاً، كان هذا العلم يرفع على عمود، في حديقة المزرعة، كل صباح أحد. يشرح «سنوبول» أن اللون الأخضر في العلم يرمز إلى حقول إنجلترا، والقرن والحافر إلى الجمهورية القادمة التي سيعلن فيها رسمياً الانقلاب على الجنس البشري. بعد أداء تحية العلم، التحقت كل الحيوانات بالحظيرة. وهناك عقد اجتماع هو عبارة عن جمع عام، لكن تمت تسميته «المجلس». وخلاله تم وضع خطة العمل الخاصة بالأسبوع، كما تم التطرق إلى مختلف القرارات ومناقشتها. وقد كانت الخنازير دائماً هي من يقترحها. فإذا كانت الحيوانات الأخرى تعرف

كيف تدلي بصوتها، فهي تعجز عن التفكير في اقتراحات جديدة. هكذا، كانت أكثر النقاشات وضوحاً تعود إلى«سنوبول» و«نابوليون». ومع ذلك يلاحظ أنهما لا يتفقان أبداً: كيفما كان رأي أحدهما، نعرف أن الآخر لا يوافق عليه. وحتى عندما يتخذ القرار- ولا أحد يستطيع أن يحتج على هذا الشيء في حد ذاته- بخصوص تحويل الأرض المسورة المجاورة للحديقة إلى بيت استراحة، يتبع ذلك نقاش عاصف: ما هو السن القانوني للتقاعد، حسب كل فئة من الحيوانات؟ وفي الأخير ينتهي الجمع العام بإنشاد «حيوانات إنجلترا»، أما فترة بعد الظهر فتخصص للمتعة.

اتخذت الخنازير من المسرجة مركزاً للقيادة. هنا بدأت تدرس، كل ليلة، الفنون والحرف: مهارات البيطرة والنجارة، على سبيل المثال بمساعدة كتب تم جلبها من المزرعة. تكلف «سنوبول» بتنظيم الحيوانات في مجموعة من اللجان، وفي هذا المجال لم يكن يعرف التعب. شكل للدواجن لجنة إنتاج البيض، وللأبقار عصبة الذيول النظيفة، وللمتمردين لجنة إعادة التربية خاصة بالرفاق الأحرار في الطبيعة (لها هدف تدجين الفئران والأرانب)، وللخرفان حركة الصوف النظيف، ولجان أخرى للوقاية الاجتماعية، علاوة على أقسام للقراءة والكتابة.

عموماً، لم يكتب لتلك المشاريع النجاح. وبذلك أجهضت بسرعة محاولة تدجين الحيوانات المتوحشة. لأنها لم تغير من طبعها، واستغلت كل تعامل سمح لصالحها على

أساس أنه ضعف. أصبحت القطة في وقت قصير عضواً في لجنة إعادة التربية، وخلال أيام أصبحت تتخذ القرارات. وذات مرة شوهدت وهي جالسة فوق السقف، وتتناقش مع بعض طيور الدوري الذين بقوا خارج دائرة الاقتناع: لقد أصبح كل الحيوانات رفاقاً منذ الآن. كما أصبح من الممكن لكل دوري أن يحط فوقها، بل فوق مخالبها. لكن طيور الدوري تقف على مسافة منها.

ومع ذلك، عرفت دروس القراءة والكتابة نجاحاً سريعاً، أي إنه مع مجيء فصل الربيع، لم يكن يعد هناك أي حيوان أمي.

لقد كانت الخنازير تعرف القراءة والكتابة بإتقان. والكلاب تعلمت القراءة بيسر، لكنها لا تهتم سوى بالوصايا السبع. كانت العنزة «موريل» أفضل منها. أحياناً في الليل كانت تقرأ على باقي الحيوانات قصاصات الجرائد التي وجدت في القمامة، أما الحمار بنيامين فيستطيع القراءة مثله مثل أي خنزير، لكنه لا يمارس ذلك أبداً. «حسب علمي، يقول، لا يوجد ما يستحق القراءة». تعلمت «كلوفر» الحروف، لكن علم الكلمات كان يفلت منها، أما «بوكسر» فلم يستطع الذهاب أبعد من الحرف «د». وبحافره الكبير كان يرسم على التراب الحروف: أ، ب، ت، ج، ثم يحدق فيها بعينيه، فيما أذنيه متدليتان، ومن وقت إلى آخر يبعد الخصلة التي تغطي جبهته. كان يبذل جهداً كبيراً في تذكر الحرف الذي يأتي في

ما بعد، لكن من دون جدوى. في مرات عديدة يتعلم بشكل جيد الحروف: ح، خ، د، ر، لكن ما أن يتعلم هذه الحروف، ينسى ما يأتي بعدها. وفي الأخير، قرر أن يبقى في حدود الحروف الأربع الأولى، فيكتبها مرة أو مرتين في اليوم كي ينعش ذاكرته. رفضت «موللي» تلعم الأبجدية، باستثناء الحروف الخمس التي يتكون منها اسمها. كانت تكتبها بمهارة عالية، بواسطة الأغصان، ثم تزخرفها بوردة أو وردتين وبإعجاب تحيطها بدائرة.

لا يستطيع أي حيوان آخر في المزرعة تجاوز حرف «أ». لوحظ أيضاً أن أكثر الحيوانات غباء، مثل الخرفان والدجاج والبط، غير قادر على حفظ الوصايا السبع عن ظهر قلب. وبعد طول تفكير عبر «سنوبول» عن نيته في اختصار الوصايا السبع إلى شعار واحد هي الآتية: «نعم لذوات السيقان الأربع، لا لذوات الساقين». وقد أكد أنه في ذلك يوجد المبدأ الأساس للنزعة الحيوانية. كل من يستوعب دلالتها يكون في منأى عن تأثيرات الإنسان. في البداية اعترضت الطيور، قائلة إنها هي الأخرى من ذوات الساقين، غير أن «سنوبول» بين لهم خطأهم قائلاً: «إن أجنحة الطيور، أيها الرفاق، هي أعضاء للحركة، وليست للتحكم، ومن ثم ينبغي النظر إليها باعتبارها سيقاناً. هذا أمر معروف. واليد هي العلامة المميزة للإنسان: اليد التي تتحكم، يد الشر».

بقيت الطيور مذهولة أمام الكلمات الغامضة التي تفوه بها

«سنوبول»، لكنها وافقت على استنتاجه، وبدأت أضعف الحيوانات تحفظ عن ظهر قلب الشعار الجديد: «نعم لذوات السيقان الأربع، لا لذوات الساقين»، بل إنها كتبته على الجدار داخل الحظيرة، فوق الوصايا السبع وبخط بارز. وما أن حفظته من دون أي خطأ، أحبته الخراف، فبدأت تنشده وهي مستلقية في الحقول: «نعم لذوات السيقان الأربع، لا لذوات الساقين»، طيلة ساعات، ومن دون أن تتعب.

لم يعر نابوليون أي اهتمام بلجان «سنوبول»، فهو يرى أن تربية الجيل الجديد هي أهم شيء يمكن تقديمه للحيوانات التي بلغت سناً متقدماً. في تلك الأثناء، وبعد الحصاد، وضعت الكلبتان «جيسي» و«فلور» تسعة جراء نشيطة. وبعد فطامها، أخذ نابوليون الجراء، قائلاً إنه سيتابع شخصياً تربيتها، فوضعها تحت سقيفة لا يمكن الوصول إليها إلا عبر سلم في غرفة السروج، وأخفاها جيداً إلى درجة أن بقية الحيوانات نسيت حتى وجودها.

أصبحت مأساة اختفاء الحليب ظاهرة للعيان، حيث إنه يومياً يتم خلط الحليب بعصيدة الخنازير. إنه بداية موسم نضج التفاح، وقريباً سيتم بذر عشب الحديقة. وكانت الحيوانات تنتظر اقتسام التفاح بالتساوي الذي بدا لها أمراً طبيعياً. وذات يوم صدر الأمر بجمع التفاح ووضعه في غرفة السروج، كي تستفيد منه الخنازير. سمعت وشوشات بعض الحيوانات، لكن ذلك كان بدون جدوى. لقد كانت كل الخنازير متفقة في

هذه النقطة، بما فيهم نابوليون و«سنوبول»، فتكفل «سكويلر» بالتوضيحات الضرورية:

«لن تصدقوا، أيها الرفاق، أننا نحن الخنازير نتصرف بأنانية، إلى درجة أننا نخص أنفسنا بالامتيازات، فالعديد منا يكره الحليب والتفاح. هذه حالتي أنا مثلاً. وإذا امتلكناه، فحرصاً على صحتنا. الحليب والتفاح (هذا ما يوضحه العلم أيها الرفاق) يخزن مواد ضرورية للنظام الغذائي لدى الخنازير. نحن يد عاملة مثقفة، فتنظيم هذه المزرعة وتسييرها يقع على عاتقنا. نحن من يسهر على مصالحكم ليلاً ونهاراً. ولأجل مصلحتكم نشرب الحليب ونأكل التفاح. هل تعلمون ماذا سيحدث، أيها الرفاق، إذا تقاعسنا، نحن الخنازير، عن القيام بواجبنا؟ سيعود «جونز»! نعم، جونز! بكل تأكيد أيها الرفاق- قال «سكويلر»، بنبرة مترجية تقريباً، ثم بدأ يتأرجح من جهة إلى أخرى وهو يخفق الهواء بذيله- وطبعاً لا يوجد من بينكم من يريد عودة جونز؟».

إذا كان هناك أمر تكرهه جميع الحيوانات كلياً، فهو عودة جونز. وعندما قدمت لهم الأشياء على هذا الشكل، في هذا اليوم، لم تجد شيئاً تقوله. وبدت أهمية الحفاظ على صحة الخنازير أمراً بداهياً. وبذلك تم الاتفاق من دون نقاش على تخصيص الحليب والتفاح الساقط على العشب (وأيضاً التفاح الذي لم ينضج، ويشكل الجزء الأعظم) للخنازير فقط.

الفصل الرابع

مع نهاية الصيف، انتشر خبر تلك الأحداث وعم نصف البلد. بدأ نابوليون و«سنوبول» يبعثان كل يوم سرباً من الحمام المسافر لأداء مهمة الاختلاط بالحيوانات الأخرى في المزارع المجاورة. بهدف نشر قصة الثورة، وتلقينها نشيد «حيوانات إنجلترا».

طيلة الجزء الأعظم من تلك الفترة، كان السيد جونز يقيم في «ويلينغدون»، جالساً في خمارة «الأسد الأحمر» يشتكي لمن يريد سماعه بالظلم الفظيع الذي كان ضحيته عندما انتزعته عصابة من الحيوانات عديمة الجدوى. المزارعون الآخرون الذين تعاطفوا معه من حيث المبدأ، قدموا له في البداية مساعدات زهيدة. وكانوا في أعماق أنفسهم يتساءلون هل يمكنهم الاستفادة من وضع جونز السيئ. ولحسن الحظ، كانت المزرعتان المجاورتان لمزرعته في حالة سيئة وفي نزاع دائم. إحداهما، تسمى فوكسوود، كانت أرضاً شاسعة غير معتنى بها وقديمة جداً: مراع عجاف، حواجز مهملة، أسيجة

مخترقة. أما مالكها: السيد بيلنغتون، وهو شخص لطيف يعطي الجزء الأكبر من وقته للقنص أو صيد السمك، حسب الفصول. أما المزرعة الأخرى، بينتشفيلد، فهي أصغر لكنها تحظى بعناية، يملكها السيد فريدريك، وهو رجل حازم ومحتال، دائماً في نزاعات ومعروف بصلابته في التجارة. الرجلان يكرهان بعضاً إلى درجة أنه يصعب عليهما التفاهم، حتى في مصالحهما المشتركة.

لم يشعر أي من الرجلين بأدنى ذعر من ثورة الحيوانات، ولم ينشغلا كثيراً بأمر منع الحيوانات التي يملكانها من الاهتمام بهذا الموضوع. أولاً، فهما يظهران سخريتهما من فكرة المزرعة التي تسيرها الحيوانات بنفسها. فهما يؤكدان أن أمراً غريباً كهذا سينتهي خلال خمسة عشر يوماً. فبدآ يشيعان الأكاذيب عن مزرعة «مانوار» (التي لا يسميانها مزرعة الحيوان مهما حدث) مثل: إن الحيوانات لا تكف عن العراك، وإنها قريباً ستنفق من الجوع. لكن الوقت مر، ولم تنفق الحيوانات من الجوع. وبذلك أرغم «فريدريك» و«بيلنغتون» على تغيير لازمتهما: لم تعد المزرعة سوى بطش ووحشية، فالحيوانات تأكل بعضها، وتمارس التعذيب في ما بينها بواسطة الكي بحذوات الخيول الساخنة، وتستبيح إناث بعضها. هذا ما تقود إليه الثورة على قوانين الطبيعة، يقول «فريدريك» و«بيلنغتون».

وعلى الرغم من كل شيء، لم يصدق أحد هذه القصص، بل سادت أخبار عامة، غامضة وساحرة عن مزرعة

عجيبة، طردت الحيوانات منها الإنسان، وبدأت تحكم نفسها بنفسها. ومع مرور الشهور، بدأت موجة من العصيان تنتشر في باقي القرى. بعض الثيران التي كانت إلى حد ذلك الوقت طيعة أصيبت بالهيجان. وبدأت الخرفان تضرب السياجات كي تأكل العشب بطريقة أفضل. الأبقار تهجم وتقلب الدلاء. الخيول انهارت أمام الحواجز، فبدأت تسقط الفرسان. ساد شعار «حيوانات إنجلترا» كل الحقل. وانتشر النشيد الثوري بسرعة مذهلة. وعندما سمعه الناس لم يتمالكوا ذعرهم، مدعين أنه نشيد تافه، فقالوا إنه لم يخطر ببالهم أن الحيوانات أيضاً يمكن أن تنزل إلى هذه الحماقات الدنيئة. وكل حيوان ضبط وهو ينشد «حيوانات إنجلترا» يجد نفسه وهو يبرح ضرباً. ورغم ذلك فالنشيد ينتشر من دون رد: الشحارير تنشده بالصفير داخل السياجات، الحمام يهدل به فوق أشجار الدردار، فيمتزج بضوضاء البيطار كما بنغم الأجراس. والناس يستمعون، ويرتعدون في أعماقهم، كما لو أنهم أمام الإعلان عن نبوءة بالهلاك.

في بداية أكتوبر، عندما حصد القمح، ووضع جزء منه في الطواحين، وخضع الجزء الآخر للدرس، جاب سرب من الحمام السماء، وعندما أصابه الذعر، حط في ساحة مزرعة الحيوان. إنه جونز وكل عماله قادمين، وفي رفقتهم ستة من رجال «فوكسوود» و«بينشفيلد»، اقتحموا السياج ذا القضبان الحديد الخمسة قاطعين الطريق المؤدية نحو بيت المزرعة.

كلهم مسلحون بالعصي، إلا جونز الذي كان يترأسهم وهو يحمل بندقية في يده. إنهم، بدون شك، يريدون استعادة المزرعة.

كانت الحيوانات تتوقع ذلك منذ زمن بعيد، فاتخذت كل احتياطاتها. لقد قرأ «سنوبول» عن حملات «يوليوس قيصر» في كتاب قديم وجده في بيت المزرعة، فتولى إدارة العمليات الدفاعية. أعطى أوامره بسرعة، فاتخذ كل حيوان موقعه في وقت وجيز.

وما أن وصل جونز ورجاله إلى مباني المزرعة، حتى أطلق «سنوبول» هجومه الأول. طار الحمام الذي كان عدده خمساً وثلاثين، فوق كتيبة العدو على علو منخفض، ورمى بسلحه على جماجم المهاجمين. بعد ذلك كان على العدو أن يواجه الإوز الذي نصب لهم كميناً وراء السياج، منطلقاً ومهاجماً بعنف. فبدأ ينقر الرجال في سيقانهم. لم يكن ذلك إلا مناورة وإلهاء بسيطاً. في ما بعد بدأ الرجال يصدون الإوز بضربات من العصي. عندها أطلق «سنوبول» هجومه الثاني. وبدأ شخصياً يقود الهجوم بكتيباته، المكونة من «موريل»، العنزة البيضاء، وكل الخرفان. هجم الجميع على الرجال، وبدأوا يرفسونهم وينطحونهم بالقرون، ويحاصرونهم من كل جانب. ورغم ذلك فقد قام الحمار «بنيامين» بدور استثنائي، فقد دار على نفسه وبدأ يطلق رفسة بعد أخرى. لكن، وللمرة الثانية، انتصر الرجال بفضل العصي وأحذيتهم المصفحة. في

هذه اللحظة، أطلق «سنوبول» صرخة حادة، إشارة إلى الانسحاب فعادت الحيوانات أدراجها، وهربت من البوابة الكبرى نحو الساحة. أطلق الرجال صيحات النصر. ظناً منهم أن العدو قد فر هارباً، فاندفعوا خلفه من دون نظام.

كان ذلك هو هدف «سنوبول». فما أن تقدم الرجال وسط الساحة، حتى اندفعت من خلفهم الخيول الثلاثة والأبقار وواحد من أضخم الخنازير، فبقوا إلى ذلك الحين وسط الكمين داخل الإسطبل. انتبه الرجال وهم مندهشون أن طريق التراجع قد قطعت عليهم. عندها أعطى «سنوبول» إشارة الهجوم، منطلقاً بنفسه نحو جونز الذي بادر بالهجوم، فرفع سلاحه وأطلق رصاصة. استقرت رصاصة في ظهر «سنوبول» فأدمته، فيما أصابت رصاصة أخرى أحد الخراف فأردته قتيلاً. ومن دون تردد، ألقى «سنوبول» بكل ثقله (يزن 120 كلغ) على رجلي صاحب المزرعة المخلوع فأسقط بندقيته من يده وتدحرج فوق كومة من الروث. لكن الأكثر شراسة، كان هو «بوكسر» الذي وقف على قائمتيه الخلفيتين وضرب بحديد حافريه الثقيلين بقوة حصان يافع. الضربة الأولى كانت على رأس سائس «فوكسوود»، فأسقطته في الوحل، جثة هامدة. وعندما رأى الرجال ذلك تركوا هراواتهم وحاولوا الفرار. إنه الخوف وقد تملك من العدو. طاردتهم الحيوانات، وحاصرتهم في الساحة، ضربتهم بالحوافر ونطحتهم بالقرون، أسقطتهم أرضاً وداستهم بالأرجل. لم يبق حيوان واحد إلا

وانتقم لنفسه، بما في ذلك القطة التي قفزت من السقف فجأة فوق كتف أحد رعاة البقر، وغرزت مخالبها في عنقه، الشيء الذي جعله يطلق عدة صرخات. لكن، في لحظة واحدة، وعندما وجدوا الطريق سالكاً، فر الرجال خارج الساحة، ثم هربوا على الطريق، سعداء جداً بكونهم نجوا بأقل الأضرار. هكذا، وبعد خمس دقائق من المعركة، انسحبوا بخزي سالكين الطريق نفسه الذي سلكوه من قبل، وسرب من الإوز يطاردهم وهو يعض سيقانهم ويصيح.

لم يعد أي رجل في الساحة، باستثناء واحد، السائس، وهو يضع وجهه على الأرض. عاد «بوكسر» إلى الساحة، وبدأ يحرك الجسد بضربات خفيفة من حافره، محاولاً قلبه على ظهره. لم يتحرك الصبي.

«لقد مات، قال «بوكسر» بكل حزن. لم أقصد قتله. لقد نسيت حذوات الحديد التي في حافري. لكن من سيصدق أنني لم أقصد قتله؟».

- لا مجال للعاطفة، أيها الرفاق. صرخ «سنوبول» الذي كانت جراحه تنزف دماً. الحرب حرب. لا يهمنا الإنسان إلا عندما يصبح جثة.

- لا أريد أن أقتل أحداً، حتى ولو كان إنساناً، ردد «بوكسر» وهو يبكي.

- أين هي «موريل»؟ صرخ أحدهم.

في الواقع، لقد كانت «موريل» مختفية. لبرهة ساد ترقب

شديد، عمَّ خوف من أن يكون الرجال قد أذوها أو أخذوها أسيرة معهم. لكن في النهاية عادت «موريل» إلى مربطها. كانت متخفية فيه، ورأسها مطمور وسط الحشيش. وعندما سمعت الانفجار، فرت هاربة. بعد ذلك عادت الحيوانات إلى الساحة فتبين لها أن الصبي السائس قد هرب عندما استرجع وعيه.

اجتمعت الحيوانات من جديد، وكانت في قمة تأثرها. كل واحد يحكي بصوت مرتفع شجاعته أثناء المعركة. وعلى غير استعداد وبسرعة تم الاحتفال بالنصر. رفع العلم، وتم ترديد شعار «حيوانات إنجلترا» مرات عديدة، وأقيمت مراسيم دفن مهيبة للخروف الذي وهب حياته للقضية. على قبره تم غرس نبات الزعرور. وعلى ضريحه ألقى «سنوبول» خطاباً قصيراً: على الحيوانات، قال مؤكداً، أن تكون مستعدة للموت في سبيل مزرعتهم.

تم الاتفاق على استحداث وسام عسكري أطلق عليه اسم «وسام الحيوان البطل»، من الدرجة الأولى. وقد منح خلال اجتماع انعقد بالمناسبة لـ «سنوبول» و«بوكسر». والوسام عبارة عن ميدالية من النحاس (عثر عليها في غرفة السروج، فقد كانت تستعمل قديماً لتزيين الخيول)، على أن يلبس أيام الآحاد والأعياد. وقد تم أيضاً استحداث وسام ثانٍ هو «وسام الحيوان البطل، من الدرجة الثانية» منح بعد وفاة الخروف الشهيد.

تم التداول مطولاً حول الاسم الذي ينبغي أن يطلق على المعركة، فتم في الأخير الاتفاق على اسم «معركة الحظيرة» التي انطلقت منها معركة النصر. تم العثور على بندقية «جونز» وسط الوحل. وقد كانت الحيوانات على علم بأن الرصاص موجود في المزرعة. كما تم الاتفاق على نصب البندقية في أسفل السارية، تماماً مثل قطعة مدفع، وسيطلق منها الرصاص مرتين في السنة: 12 أكتوبر هو يوم الاحتفال بمناسبتين، «معركة الحظيرة»، ويوم القديس جان الذي يأتي في الصيف، كذكرى للثورة.

الفصل الخامس

مع اقتراب فصل الشتاء، ازدادت «موللي» في ارتكابها للحماقات. كانت تتأخر عن عملها كل صباح، وتقدم أعذاراً من قبيل أنها لم تستيقظ باكراً، وأنها تعاني من آلام خاصة، رغم شهيتها القوية. ولأدنى سبب تغادر عملها وتهرب إلى المورد، كي تتمرى على الماء مثل الحمقاء. لكن هناك إشاعات أخرى تروج حولها. ذات يوم، وهي تتقدم في الساحة، خفيفة تخب وهي تحرك ذيلها بغنج وتمضغ الحشيش، فأخذتها «كلوفر» على حدة.

«موللي، خاطبتها قائلة، أريد أن أحدثك بكل جد. لقد رأيتك هذا الصباح وأنت تنظرين من وراء السياج الذي يفصل بين «فوكسوود» و«مزرعة الحيوان». وكان أحد رجال السيد «بيلنغتون» يقف في الجانب الآخر... لقد كنت على بعد مسافة... أعترف بذلك... لكنني أكاد أكون متأكدة... لقد رأيته وهو يحدثك ويداعب خطمك. ماذا تعني تلك التصرفات، «موللي»؟».

بدأت «موللي» تتململ وتقفز، فقالت:

«أبداً! لم أكن أتحدث إليه! ولم يداعبني! هذه أكاذيب!»

- موللي. انظري إلي جيداً. أعطني كلمة الشرف بأنه لم يداعب خطمك.

- أكاذيب. قالت «موللي»، لكنها لم تستطع النظر إلى «كلوفر»، وبعد لحظة ارتدت وانطلقت في الحقول.

فجأة خطرت لـ «كلوفر» فكرة. ومن دون أن تكلم الآخرين، ذهبت إلى مربط «موللي»، وبضربة واحدة من حافرها قلبت التبن: كانت قد أخفت تحت المحفة ذخيرة صغيرة من قطع السكر، وأيضاً مجموعة من الشرائط بألوان مختلفة.

بعد ذلك بثلاثة أيام اختفت «موللي». وطيلة ثلاثة أسابيع لم يعرف أي شيء عن هجرتها. إلا أن الحمام قال إنه رآها في الجانب الآخر من «والانغتون»، تجر عربة إنجليزية مصبوغة بالأحمر والأسود، أمام حانة. رجل ضخم بوجه أحمر، يلبس طماقاً وسروالاً، له مظهر صاحب حانة، يداعب خطمها ويعطيها قطعاً من السكر. كانت تضع ثوباً قصيراً جديداً وتضع خصلة قرمزية للزينة. كانت تبدو سعيدة، حسب الحمام. بعد ذلك، وإلى الأبد، لم تعد الحيوانات تعرف عنها أي أخبار.

كان يناير حقاً من أسوء الفصول. البرد قارص يجمد الدم، وغدت الأرض صلبة مثل الحديد، مما جعل العمل في

الحقول أمراً مستحيلاً. انعقدت العديد من الاجتماعات في الحظيرة، والخنازير كانت منشغلة بوضع مخطط للفصل القادم. فتم القبول بأن الخنازير، باعتبارهم أكثر الحيوانات ذكاء، سيقررون في المستقبل كل مسألة تتعلق بسياسة المزرعة، مع مراعاة احترام أغلبية الأصوات. كانت هذه المنهجية ناجعة لولا الخلافات بين «سنوبول» ونابوليون. كانا يختلفان حول كل موضوع يستدعي الخلاف عليه. وحين يقترح الواحد زرع الشعير في مساحة شاسعة، يقترح الآخر الشوفان. أو إذا ما قدر أحدهما، بحتمية، أن الحقل نفسه يصلح للكرنب، أجابه الثاني بأن ما يصلح هو الشمندر. كان لكل منهما مؤيدوه، الشيء الذي هو مصدر العنف في النقاش. وخلال الاجتماعات، كان «سنوبول» ينتزع التأييد أحياناً بفضل خطاباته اللامعة، لكن نابوليون كان أكثر جدارة في كسب دعم الآخرين. وكان يحظى بالنجاح أكثر بين صفوف الخراف التي بدأت مؤخراً تهتف بحماسة كبيرة الشعار الثوري: «نعم لذوات السيقان الأربع، لا لذوات الساقين»، بمناسبة أو بغيرها، بل كانت أحياناً، بهذه الطريقة، توقف أعمال الاجتماعات. كما لوحظ ميلها إلى إنشاد شعارها في اللحظات الساخنة من خطاب «سنوبول» الذي درس بدقة أعداداً قديمة من مجلة أسبوعية خاصة عن إيجار الأراضي وتربية الحيوانات، كان قد وجدها في البناية الرئيسية، فتوسع في الحديث عن مشاريع الابتكار والإتقان. وضع تصميماً

معقداً: من الآن ستضع الحيوانات روثها في الحقول، في نقط مختلفة كل يوم، لتوفير مصاريف النقل. لم يقدم «نابوليون» أي مشروع، واكتفى بالقول إن تصاميم «سنوبول» ستؤول إلى الفشل. لكن مجادلاتهما لم تبلغ العنف الذي طبع مناقشة بناء طاحونة الهواء. يطل على المزرعة تل يقع في مرعى شاسع قريب من المراعي المجاورة. بعد أن قام «سنوبول» بجولة في المكان، قال بأنه سيكون المكان المثالي لوضع طاحونة الهواء التي بفضل المولد ستزود القرية بالكهرباء. هكذا ستتم إضاءة الإسطبل وزريبة الخنازير، كما ستتوفر التدفئة في الشتاء. كما أن الطاحونة ستشغل أيضاً قطاعة القش، وآلة لتقطيع الشمندر، ومنشاراً دائرياً، كما أنها ستسمح بالحلب الآلي. لم تسمع الحيوانات حديثاً غريباً مثل هذا (لأن هذه المزرعة العتيقة لم تكن مزودة إلا بالآليات البدائية). وهي تستمع بدهشة كان «سنوبول» يتحدث عن الآلات العجيبة التي ستحل محلها في القيام بالأشغال، فيما سترتع هي في وقت الفراغ أو تنشغل بتثقيف عقلها بواسطة القراءة والنقاش.

في ظرف ثلاثة أسابيع، أنهى «سنوبول» تصاميمه التي استلهم أغلب تقنياتها من ثلاثة كتب كانت تنتمي إلى السيد جونز: كتاب حول الحرف، وآخر حول البناء، وثالث يحتوي على دروس حول الكهرباء للمبتدئين. أقام مكتباً للعمل داخل حاضنة اصطناعية تقع في بناء صغير. كانت الأرضية الخشبية الملساء في المكان مناسبة لمن يريد أن يضع التصاميم، فكان

يعتكف هناك طيلة ساعات: حجرة موضوعة على المكتب لإبقائها مفتوحة، قطعة طباشير مثبتة في العجين، في حركة دائمة، ترسم الخطوط، ومن وقت إلى آخر يصدر صوتاً حماسياً. أصبحت التصاميم أكثر تعقيداً إلى درجة أنها لم تعد سوى ركام من المقابض والأشكال المسننات، تغطي أكثر من نصف الأرضية الخشبية. كانت الحيوانات الأخرى التي لا تعرف شيئاً عن التصاميم، تنتقل حباً في الاستطلاع، على الأقل مرة في اليوم. كانت تأتي لترى المجسمات. حتى الدجاج والإوز، كانت ترسم بعناية خطوطاً دائرية بالطباشير. وحده نابوليون بقي محايداً. وعندما أتت المناسبة، عبر عن معارضته لمشروع طاحونة الهواء. ذات يوم جاء بشكل مفاجئ ليختبر المشروع. دخل الغرفة بخطى بطيئة، ونظر بانتباه إلى كل تفصيل، وبدأ يشم باشمئزاز مرة واثنتان. وفي لحظة توقف ينظر بطرف عينه إلى المجسم، وفجأة رفع رجله وأفرغ مثانته عليه. ثم خرج من دون أن ينبس بكلمة.

انقسمت المزرعة حول مسألة طاحونة الهواء. لا ينكر «سنوبول» أن بناء الطاحونة سيكون صعباً. ينبغي اقتلاع الأحجار من المقلع لبناء الجدران، ثم تثبيت المراوح. بعد ذلك يجب الحصول على مولد كهرباء وأسلاك. (كيف ذلك؟ هنا التزم الصمت). ورغم ذلك، لم يتوقف عن ترديد أن كل ذلك يتطلب سنة واحدة. وفي ما بعد صرح أن الاقتصاد في اليد العاملة سيمكن الحيوانات من العمل ثلاثة أيام فقط في

الأسبوع. أما نابوليون، من جهته، فقد ادعى بأنه ينبغي مضاعفة الإنتاج الغذائي. وقال إن الحيوانات ستضيع وقتها في بناء طاحونة الهواء، وفي الأخير ستنفق جوعاً. انقسمت الحيوانات إلى مجموعات متنافسة، لكل واحدة منها شعارها، ففئة تردد: «صوتوا على «سنوبول» وعلى ثلاثة أيام في الأسبوع». وأخرى: «صوتوا على نابوليون وعلى المعلف المليء». وحده «بنيامين» لم ينضو تحت أي لواء. فهو يرفض تصديق أن العلف سيصبح وفيراً وساعات العمل ستنخفض. بطاحونة الهواء أو بدونها، يقول، الحياة في النهاية تستمر غريبة ومزرية.

بالإضافة إلى الخلافات حول طاحونة الهواء، يطرح مشكل الدفاع عن المزرعة. لقد أدركت الحيوانات بأن الرجال، بالرغم من هزيمتهم في معركة الحظيرة، يمكن أن يعودوا للهجوم، بمزيد من العزم هذه المرة من أجل تنصيب جونز على رأس المزرعة. فهم خائفون أكثر من انتشار خبر هزيمتهم في القرى الأخرى، الشيء الذي سيجعل حيوانات المزارع الأخرى أكثر شراسة.

وكما هي العادة، اختلف «سنوبول» و«نابوليون» من جديد. «نابوليون» يرى أن على حيوانات المزرعة أن تمتلك الأسلحة وتتمرن على استعمالها. أما «سنوبول» فيقترح إرسال سرب من الحمام نحو المزارع المجاورة لتحريض حيواناتها على التمرد. الأول يدافع عن فكرة امتلاك الأسلحة لتفادي

النكبة. أما الثاني فيرى أن الثورات في المزارع الأخرى لها أثر ستشغل العدو عن أي محاولة لإعادة الهجوم. كانت الحيوانات تنصت إلى «نابوليون» ثم إلى «سنوبول»، لكنها لا تعرف من ترجح على الآخر. والحقيقة أنها كانت دائماً تقتنع برأي آخر متحدث.

جاء اليوم الذي انتهت فيه تصاميم «سنوبول». وفي الاجتماع الذي انعقد الأحد الذي تلا ذلك اليوم، خضعت للتصويت: هل ينبغي الشروع في بناء طاحونة الهواء أم لا؟ ما أن اجتمعت الحيوانات في الحظيرة، قام «سنوبول»، ورغم مقاطعة ثغاء الخراف بين الحين والآخر، بعرض الأسباب الداعية إلى بناء طاحونة الهواء. بعد ذلك جاء دور نابوليون. وقال بالكثير من الهدوء إن طاحونة الهواء غباوة. ونصح الحاضرين بعدم التصويت لصالح هذا المشروع. وعندما أنهى حديثه، جلس، بعد خطاب لم يدم ثلاثين ثانية، غير مهتم بالآثار التي أحدثها. الأمر الذي استغله «سنوبول» الذي عندما أسكت الخراف التي بدأت في الثغاء، انطلق في مرافعته بحماس كبير متحدثاً عن مزايا طاحونة الهواء. إلى ذلك الحين، مازالت المواقف تطفو، منقسمة إلى فريقين. لكن الحيوانات في ما بعد غيرت رأيها بفضل بلاغة «سنوبول» الذي رسم لوحة زاهية لمستقبل مزرعة الحيوان. لقد ولى زمن الأعمال المنحطة، والذل تحت السوط. ساعد الخيال «سنوبول» على مديح الكهرباء التي ستشغل ليس فقط قطاعات

القش والشمندر، بل أيضاً، آلات الدراسة والحرث والمشط والحصاد. إضافة إلى أنها ستمكن الإسطبل من الإنارة والتدفئة والماء الدافئ والبارد. وبعد أن أنهى حديثه وجلس، لم يعد ثمة شك في نتيجة التصويت. في تلك اللحظة، قام نابوليون، وألقى على «سنوبول» نظرة جانبية غريبة، ثم أطلق صرخة حادة لم يسمع أحد مثلها من قبل.

إثر تلك الصرخة سُمع في الخارج نباح مخيف، واقتحمت الحظيرة تسعة كلاب حراسة أعناقها مطوقة قلادات نحاسية. فارتمت على «سنوبول» الذي أفلت من أنيابها بنجاح. في اللحظة التي تلت تجاوز الباب والكلاب تطارده. وهي مندهشة ومذعورة إلى درجة العجز عن الصراخ، اندفعت الحيوانات نحو الباب لمتابعة المطاردة. كان «سنوبول» يركض بسرعة عبر المرعى الكبير المؤدي إلى الطريق. كان يركض كما يركض أي خنزير، والكلاب خلفه. وفجأة انزلق، وتأكد للحيوانات أن الكلاب ستنقض عليه. لكنه نهض وهرب بأقصى سرعته. أسرعت وراءه الكلاب، فأوشك أحدها على الانقضاض بأنيابه البارزة على ذيله، لكنه أفلت منه. وباندفاعة قوية انسل «سنوبول» داخل حفرة تحت السياج، واختفى عن الأنظار.

انسحبت الحيوانات في صمت عائدة إلى الحظيرة. وبعد وقت قصير عادت الكلاب بخطى مسرعة. في البداية لم يستطع أحد تخمين المكان الذي جاءت منه هذه المخلوقات،

لكن سرعان ما اتضح الأمر: هذه هي الجراء التي أخذها نابوليون من أمهاتها وتولى رعايتها بعيداً عن الأنظار. لم يكتمل نضجها، ولكنها أصبحت حيوانات ضخمة، ولها ذلك المظهر الوحشي الذي للذئاب. وقفت الكلاب الضخمة قرب نابوليون، ولاحظت الحيوانات أنها كانت تهز ذيولها له، كما كانت تفعل مع جونز.

صعد نابوليون متبوعاً بكلابه إلى المنصة التي ألقى من فوقها العجوز الحكيم خطابه منذ عهد قريب. وأعلن أنه منذ اليوم لن تعقد الاجتماعات صباح يوم الأحد. وقال إنها غير مجدية في شيء، فهي مجرد مضيعة للوقت. وإنه منذ اليوم، كل سؤال يتعلق بتسيير المزرعة سيتم الحسم فيه من طرف لجنة من الخنازير ستكون تحت رئاسته. ستجتمع اللجنة في جلسات سرية، وبعد ذلك سيتم إخبار الحيوانات الأخرى بالقرارات المتخذة. وسيتم الإبقاء على الاجتماع صباح يوم الأحد لتحية العلم، وإنشاد شعار «حيوانات إنجلترا» والاطلاع على تعليمات الأسبوع، لكن النقاشات العمومية ستلغى.

وهي تحت تأثير الصدمة التي أحدثها طرد «سنوبول»، وعندما استمعت إلى هذه القرارات أصيبت الحيوانات بالذهول. العديد منها أراد الاحتجاج لكن الحجج الدامغة أعوزته. حتى «بوكسر» كان متذمراً، بطريقته الغمضة. خفض أذنيه، وخصلة من عرفه تغطي وجهه. حاول جاهداً جمع أفكاره، لكن لم يخطر على ذهنه شيء. كان في الماضي

يحدث الاضطرابات بين صفوف الخنازير نفسها، خصوصاً عند ذوي الذهن الثاقب. في الصف الأول، عبرت أربعة خنازير يافعة، ضخمة وقذرة عن احتجاجها. وقف كل واحد منها على قائمتيه الخلفيتين وأخذ الكلمة. وفجأة بدأت الكلاب المحيطة بنابوليون تزمجر، فصمتت الخنازير الصغيرة وعادت إلى الجلوس في مكانها. ثم ارتفع ثغاء الخراف الرائع: «نعم لذوات السيقان الأربعة. لا لذوات الساقين» الذي استمر مدة ربع ساعة تقريباً، فأضعف أي إمكانية للاستمرار في النقاش.

بعد ذلك تكلف «سكويلر» بشرح الترتيبات الجديدة للحيوانات. قال: «أيها الرفاق، أنا متأكد من أن كل واحد منكم يقدر التضحيات التي قدمها «نابوليون» الذي فرضت عليه مهام إضافية. لا تتصوروا، أيها الرفاق، أن الحكم هو جزء من المتعة، بل على العكس، إنه مهمة ثقيلة ومرهقة. فلا أحد أكثر إيماناً بقضية المساواة بين الحيوانات أكثر من الرفيق نابوليون. كان سيكون سعيداً بوضع اتخاذ القرارات بين أيديكم. لكن يمكن أن تتخذوا قرارات خاطئة، فماذا ستكون النتيجة إذاً؟ لنفترض مثلاً أنكم، بعد الاستماع إلى الهذيانات المتعلقة بإنشاء طاحونة الهواء، اتبعتم «سنوبول» الذي نعرف اليوم أنه كان سيرتكب جرماً؟»

- لقد تصرف بشجاعة في «معركة الحظيرة»، قال أحدهم.

- «الشجاعة لا تكفي، أضاف «سكويلر». الولاء والطاعة

لهما الأولوية. وبالنسبة إلى معركة الحظيرة، أظن أنه سيأتي وقت نكتشف فيه أن دور «سنوبول» كان مبالغاً فيه. لنتحلى بالانضباط، أيها الرفاق. الانضباط الصارم. هذا هو شعارنا اليوم. خطوة غير محسوبة وسيمسكنا عدونا من حناجرنا. هل أنتم متأكدون، أيها الرفاق، أنكم لا ترغبون في عودة جونز؟».

مرة أخرى، كانت الحجة دامغة. الحيوانات، بكل تأكيد، لا ترغب في عودة جونز. وإذا كانت نقاشات صباح يوم الأحد قمينة بإعادته، إذاً، فليتم إلغاؤها. حتى «بوكسر» الذي كان بمستطاعه أخذ مهلة للتفكير، عبر عن شعوره العام: «إذا كان الرفيق «نابوليون» هو من قال ذلك، فإنه على حق». وإضافة إلى عملته الخاصة: «سأعمل بكد»، اتخذ له شعاراً جديداً: «نابوليون لا يخطئ».

جاء فصل الربيع وأصبح الجو لطيفاً. بدأت الحيوانات الحرث في الحقول. والسقيفة التي وضع فيها سنوبول تصاميم الطاحونة أغلقت. أما التصاميم فلم يعد لها أي أثر. وأصبحت الحيوانات تجتمع في الحظيرة على الساعة العاشرة من كل صباح يوم أحد، لتتلقى الأوامر الأسبوعية. لقد تم إخراج جمجمة «الحكيم العجوز» من الحقل التي جردت من اللحم، قصد عرضها قرب السارية، جنب البندقية. بعد تحية العلم، وقبل الدخول إلى الحظيرة، يطلب من الحيوانات المرور أمام الجمجمة، دلالة على الاحترام. وما أن تصبح داخل

الحظيرة، لا يحق لها الجلوس، كما كانت تفعل في السابق. يجلس نابوليون في مقدمة المنصة، رفقة «سكويلر» وخنزير آخر ذكر يدعى «ميمينوس»، له موهبة كتابة الأغاني والقصائد. كانت الكلاب التسعة تحيط بهم في نصف دائرة. أما بقية الخنازير فتجلس وراءهم، في مواجهة بقية الحيوانات. كان نابوليون يقرأ عليهم أوامر العمل الأسبوعية بلهجة عسكرية صارمة. وفي النهاية يتم إنشاد «حيوانات إنجلترا» مرة واحدة، بعد ذلك تتفرق الحيوانات كل إلى حاله.

بد مرور ثلاثة آحاد على طرد «سنوبول»، تفاجأت الحيوانات بسماعها، من فم نابوليون، أنه سيتم بناء الطاحونة، بعد كل ذلك. لم يقدم نابوليون أي سند لهذا التراجع، واكتفى فقط بتحذير الحيوانات بكونهم سيعملون بجهد أكبر. وربما سيتم التقليص من حصص الطعام. وإن التصميم، في جميع الأحوال، قد هُيِّئ بكل تفاصيله. ولهذا الغرض تم تشكيل لجنة من الخنازير عملت طيلة الأسابيع الثلاثة الأخيرة. وأخذاً بعين الاعتبار كل التعديلات التي أدخلت، فإن بناء الطاحونة سيستغرق سنتين.

في المساء، اجتمع «سكويلر» بالحيوانات الأخرى، ووضح لهم أن نابوليون لم يكن قط معارضاً إقامة الطاحونة، بل على العكس من ذلك، فقد كان أول من طالب بإنشائها. أما بالنسبة إلى التصاميم التي رسمها «سنوبول» على أرضية الحظيرة القديمة، فقد سرقها من أوراق نابوليون. إن طاحونة

الهواء هي من إبداع نابوليون. انبرى أحد الحيوانات متسائلاً: لماذا وقف نابوليون بقوة ضد إنشاء الطاحونة؟ أمام هذا السؤال اتخذ «سكويلر» مظهراً ماكراً، وقال إنها حنكة من طرف نابوليون أن يظهر معارضته للطاحونة. فما ذلك سوى حيلة للإطاحة بسنوبول، ذلك المخلوق المفسد، ذو التأثير السيئ. وعندما تم طرده، يمكن للمشروع أن يتجسد على أرض الواقع، من دون أن يتدخل فيه أبداً. هذا ما نسميه تكتيكاً، أضاف «سكويلر». قال مردداً وهو يلوح في الهواء بذيله ويضحك بابتهاج: «تكتيك، يا رفاق، تكتيك». تركت هذه الكلمات الحيوانات في حيرة، لكنها تقبلت تلك التوضيحات من دون إصرار: مادام «سكويلر» يعبر بطريقة مقنعة، ومادامت الكلاب الثلاثة التي ترافقه تزمجر مهددة.

الفصل السادس

بذلت الحيوانات طيلة السنة جهداً كبيراً مثل العبيد، لكنها كانت سعيدة بعملها. لذلك لم تأسف لا على ألم ولا على تضحية، فهي تعرف أن كل ألم نذرت نفسها له ستجني ثماره، كما ستجنيه الأجيال القادمة، وليس عصابة إنس كسالى تقطف ثمار جهد غيرها.

طيلة الربيع وخلال الصيف، بلغت مدة العمل ستين ساعة أسبوعياً، وفي شهر غشت (أغسطس) أخبر نابوليون الحيوانات بأن عليهم العمل بعد ظهر يوم الأحد أيضاً. وقد طلب منهم إضافة هذا الجهد بشكل تطوعي، إلا أن كل حيوان يعفي نفسه من ذلك العمل ستخفض حصة طعامه إلى النصف. كما أن بعض الأشغال سيتم التخلي عنها. فحصاد هذه السنة كان دون مستوى حصاد السنة الماضية. وهناك حقلان كان يجب بذرهما بالجذور بداية الصيف، تم إعفاؤهما قصد إراحتهما، حتى يتم إنهاء الحرث في الوقت المحدد. لذلك من المحتمل مواجهة شتاء قاسٍ.

طرح بناء طاحونة الهواء مصاعب غير منتظرة. فعلى أرض المزرعة يوجد مقلع حجارة، وفي أحد المستودعات أيضاً يوجد الرمل والإسمنت بوفرة. والمعدات متوفرة قرب مكان العمل، إلا أن الحيوانات اصطدمت في البداية بمشكل قطع الحجارة إلى قطع قابلة للاستعمال. كيف ستواجه ذلك؟ لا يوجد حل آخر، على ما يبدو، إلا بمساعدة الرافعة والمعول. وما يتجاوز الحيوانات، هو أن لا أحد يستطيع البقاء واقفاً لمدة طويلة على قائمتيه الخلفيتين. مرت عدة أسابيع بذلت فيها الحيوانات جهداً كبيراً من دون نتيجة تذكر، قبل أن تخطر على بال أحدها الفكرة الصائبة: الاستفادة من قانون الجاذبية. وضعت على سفح المقلع كتلاً ضخمة، أكبر بكثير من أن تستعمل كما هي. أحاطتها الحيوانات بالحبال، ثم أسهم الجميع: بقر، خيول، خراف، وكل من يستطيع أن يمسك حبلاً (حتى الخنازير سخرت أقدامها القوية في هذه اللحظة العصيبة) في رفع تلك الكتل الحجرية، ببطء مقنط، إلى قمة المقلع. ومن هناك تتم دحرجته فتصطدم بالأرض وتحطم إلى قطع صغيرة. وعندما تنكسر تلك الأحجار، يصبح نقلها سهلاً. كانت الخيول تنقلها على عربات بعجلتين، وتجر الخراف كلها حجراً واحداً. والشيء نفسه بالنسبة إلى «موريل» العنزة وبنيامين: فقد كانوا مربوطين إلى عربة قديمة من دون ادخار أي جهد. ومع نهاية الصيف توفرت كمية كبيرة من الأحجار لبناء الطاحونة، تحت إشراف الخنازير.

كانت تلك الأشغال بطيئة ومضنية، فغالباً ما كان جر صخرة واحدة حتى قمة المقلع يستغرق يوماً كاملاً من العمل المجهد، بل كانت أحياناً لا تتكسر عندما تصطدم بالأرض. ولولا قوة «بوكسر» الذي تساوي قوته بقية الأجناس الحيوانية مجتمعة، لما استطاعت تحقيق شيء. عندما تبدأ كتلة الحجر في الانزلاق وتتبعها الحيوانات على منحدر التل، وتبدأ في الصراخ خوفاً من الموت، يكون هو دائماً من يوقفها في الوقت المناسب، وهو يزفر بكل جسده. وكل الحيوانات كانت معجبة وهي تراه يجهد نفسه، وشيئاً فشيئاً كان يتقدم وهو يلهث، وخاصرتاه الضخمتان ترشحان بالعرق، وحوافره تتشبث بقوة بالأرض. كانت «كلوفر» أحياناً تحذره بأن لا يرهق نفسه بهذه الطريقة، لكنه لا يريد سماع أي شيء. ويبدو أن شعاره هو: «سوف أعمل بجد» و«نابوليون لا يخطئ أبداً» يشكل إجابة مقنعة عن كل الأسئلة. كما أنه اتفق مع الديك اليافع كي يوقظه قبل الموعد بربع ساعة بدل نصف ساعة. بالإضافة إلى أنه في هذه اللحظات الضائعة التي لم يعد يمتلكها، يزور المقلع ليجلب منها عربة مليئة بالأحجار يجرها وحده إلى موضع بناء الطاحونة.

رغم العمل المضني، لم تشعر الحيوانات بالعناء طيلة الصيف. وإذا كانت سيئة الإطعام في زمن جونز، إلا أن وضعها الجديد ليس أسوء مما كان عليه. لكن ميزة أن تلبية حاجياتها الخاصة بها فقط- وليس الحاجيات الغريبة لخمس

كائنات إنسانية- كانت شيئاً هاماً جداً، ينبغي لفقدانه مراكمة كل أشكال الفشل. من بين العديد من الأساليب، تبقى منهجية الحيوانات الأكثر فعالية، كما أنها تقتصد في العمل. فننزع الأعشاب، مثلاً، يمكن أن ينجز في دقيقة واحدة، الشيء الذي يستعصي على الإنسان. كما أن الحيوانات تحرم على نفسها السرقة، لذلك أصبح من غير الضروري الفصل بين الحقول الفلاحية بواسطة الحواجز، إلى درجة أنه تم التخلي عن السياجات. ورغم كل شيء، وكما في الصيف الجاري، بدأت العديد من الأشياء تنفذ: زيت البرافين، المسامير، الخيوط، بسكويت الكلاب، الحديد الذي يصنع منه البيطار حذوات الخيول. كل المواد التي لا تنتج في المزرعة. ومستقبلاً ستكون الحاجة ماسة أيضاً إلى البذور والأسمدة المصنعة، من دون الحديث عن العديد من المعدات وآلات الطاحونة. كيف يتم توفير هذه المواد الضرورية؟ هذا هو السؤال الذي لا يملك أحد الإجابة عنه.

اجتمعت الحيوانات صباح الأحد لتلقي التعليمات، فأعلن نابوليون أنه قرر اعتماد سياسة جديدة، فمنذ اليوم ستعقد «مزرعة الحيوان» علاقات تجارية مع المزارع المجاورة: ليس لغرض تجاري، ولكن بكل بساطة للتزود بمجموعة من المواد التي تكون المزرعة في حاجة ماسة إليها. وأضاف بأن متطلبات بناء الطاحونة يجب أن تكون فوق كل الاعتبارات. كما أنه ستفتح مفاوضات من أجل بيع كمية من

العلف وجزء من محصول الشعير. وفي ما بعد، وفي حال الحاجة إلى المال، يجب بيع البيض (يمكن بيعها في سوق ويلينغدون). وأضاف قائلاً إنه على الدجاجات أن تكن سعيدات بهذه التضحية التي ستكون هي مساهمتها في بناء طاحونة الهواء.

مرة أخرى عبرت الحيوانات عن كآبة غامضة. لا تعامل مع الإنسان إطلاقاً، لا نشاط تجاري، لا تعامل بالمال، أليست هذه هي بعض القرارات المتخذة في الاجتماع الاحتفالي بالنصر الذي انعقد بعد طرد جونز؟ فجميع الحيوانات تتذكر أنها تبنتها، أو على الأقل تعتقد أنها تحتفظ بها في الذاكرة. الخنازير الأربعة اليافعة التي احتجت عندما قام نابوليون بإلغاء جميع الاجتماعات، رفعت أصواتها بخجل، لكنها سرعان ما سكتت خوفاً من زمجرة الكلاب. وكما هي العادة، أطلقت الخراف الشعار القديم: «نعم لذوات القوائم الأربعة، لا لذوات الرجلين». فتبدد كل إزعاج. وفي الأخير رفع نابوليون حافره مطالباً بالصمت، وقال إن كل القرارات قد اتخذت في هذا الشأن. فلا مجال لأن تدخل الحيوانات في علاقة مع الإنسان الذي من الواضح أنه مصدر الشر. وأكد أنه سيتحمل هو شخصياً هذا العبء. وهناك شخص يدعى «السيد ويمبر»، وهو محام بـ «ويلينغدون»، قبل أن يؤدي دور الوسيط بين «مزرعة الحيوان» والعالم الخارجي، وسيأتي كل صباح يوم اثنين ليتلقى التوجيهات. ثم أنهى خطابه بصرخته

المعتادة: «عاشت مزرعة الحيوان»، وبعد إنشاد «حيوانات إنجلترا»، عادت الحيوانات إلى أمكنتها.

بعد ذلك قامت «سكويلر» بجولة في المزرعة من أجل تلطيف العقول. فقد أكدت للحيوانات بأن القرار الذي يحرم التجارة واستعمال المال غير وارد، بل إنه لم يسبق أن اقترح. إن ذلك مجرد خيال، أو مجرد خرافة ولدت من أكاذيب «سنوبول». وبما أن شكوكاً بسيطة مازالت مستمرة في بعض العقول، تساءلت «سكويلر» بمكر: «هل أنتم متأكدون، أيها الرفاق، أنكم لم تحلموا بكل ذلك؟»، وبما أنه، بكل تأكيد، لا وجود لوثيقة مكتوبة، فقد اقتنعت الحيوانات بأنها أخطأت في الأمر.

تم الاتفاق على أن يزور السيد «ويمبر» المزرعة كل يوم اثنين. كان رجلاً قصير القامة، وله مظهر المحتال، لكنه كان يمتلك عدة مزايا. فهو محام لا يخوض إلا في القضايا التافهة. كان مكاراً ليستوعب قبل غيره أن مزرعة الحيوان في حاجة إلى سمسار، سيقاضى أتعاباً لا بأس بها. كانت الحيوانات تراقب ذهابه ومجيئه بنوع من الخوف، فكانت تتفاداه ما أمكنها. ومع ذلك، فإن كون الحيوان يعطي الأوامر للإنسان أيقظ داخلهم نوعاً من الكبرياء، بما فيهم نابوليون، وجعلهم يتصالحون مع النظام الجديد. فعلاقاتهم بجنس الإنسان طرأ عليها الكثير من التغيير. لم يسبق للرجال أن كرهوا مزرعة الحيوان وهم يرونها تأخذ هذا المصير: والحقيقة

أنهم اليوم يمقتونها أكثر من أي وقت مضى. فكل واحد منهم كان يؤمن بأن المزرعة ستفلس في أقرب وقت. أما طاحونة الهواء فهي منذورة للفشل. وهم جالسون في خمارتهم، كانوا يقدمون لبعضهم الدليل، وهم يرتكزون على بعض التصاميم، على أن الطاحونة ستنهار حتماً، أو أنها لن تعمل، في أحسن الحالات. ورغم ذلك، فقد كانوا يكنون في دواخلهم، نوعاً من الاحترام لاستعداد هذه الحيوانات بنفسها لتسيير شؤونها الخاصة. وبذلك فهم يطلقون عليها اليوم اسم «مزرعة الحيوان»، من دون الادعاء بأنها كانت تسمى «مزرعة القصر». وبعد أن تخلوا عن الدفاع عن قضية جونز، فإن هذا الأخير فقد كل أمل في العودة إلى ممتلكاته، فانتقل إلى العيش في مكان آخر. باستثناء وساطة «ويمبر»، لم تتأسس أي علاقات بين «مزرعة الحيوان» والعالم الخارجي، لكن هناك إشاعة بدأت تروج بقوة: يوشك نابوليون على إجراء صفقة سواء مع السيد «بيلنغدون» صاحب مزرعة «فوكسوود»، أو مع السيد «فريدريك» صاحب مزرعة «بينشفيلد». ولكن ليس مع الاثنين في آن واحد.

في غضون ذلك، انتقلت الخنازير إلى بيت المزرعة الذي جعلت منه مقر إقامتها. لكن مرة أخرى تذكرت الحيوانات أنه قد تم اتخاذ قرار ضد هذه الممارسات منذ الأيام الأولى. لكن، وللمرة الثانية، أوضَح «سكويلر» بأن الأمر بسيط وبأن الضرورة المطلقة، قال، تحتم أن تقيم الخنازير، باعتبارها

العقل المدبر في المزرعة، في مكان هادئ للعمل. إنه من اللائق لكرامة القائد (لأنه منذ مدة قصيرة قرر منح لقب القائد لنابوليون) أن يعيش في بيت بدل زريبة الخنازير. غضبت بعض الحيوانات عندما علمت أن الخنازير تتناول وجباتها في المطبخ، وجعلت من غرفة الجلوس قاعة للترفيه، بل وتنام على الأسرة. وكما هي العادة، فـ «بوكسر» ما زال يؤمن بشعار «نابوليون لا يخطئ أبداً»، لكن «كلوفر» توقفت عن العمل بشكل عاجل، وتوجهت إلى داخل الحظيرة وحاولت قراءة الوصايا السبعة المعلقة هناك. لكنها لم تستطع قراءة الحروف واحداً بعد آخر إلا بصعوبة، فذهبت تبحث عن «موريل».

«موريل، اقرئي لي الوصية الرابعة. ألا تؤكد على عدم النوم على السرير؟».

تهجت «موريل» الحروف بصعوبة. وأخيراً قرأت:

«إنها تقول: يحظر على كل حيوان النوم على سرير بأغطية».

شيء غريب، «كلوفر» لا تتذكر أن الوصية الرابعة تتحدث عن الأغطية، لكن وهي مكتوبة على الحائط ينبغي الإيمان بها. صدفة مر «سكويلر» رفقة كلبين أو ثلاثة، فقام بشرح القضية كما هي:

«لقد سمعتم إذاً، أيها الرفاق، أننا نحن الخنازير، ننام الآن على الأسرة الموجودة في البيت؟ ولم لا؟ هل تظنون أن هناك قانوناً يحرم النوم على الأسرة؟ السرير ليس سوى مكان

للنوم. وكومة القش في الإسطبل ماذا تكون غير سرير للنوم؟ الاحتجاج هو على الأغطية التي هي من صنع الإنسان. غير أننا أزلنا الأغطية من الأسرة، ونحن ننام الآن بين البطانيات. هنا توجد أسرة مريحة، لكنها ليست بالشكل المطلوب، إنني أؤكد لكم ذلك، أيها الرفاق، مع هذا العمل العقلي الذي فرض علينا. أنتم لا تريدون، أيها الرفاق، تجريدنا من النوم الذي يجدد قوانا؟ ولا ترغبون في أن ينال منا الإنهاك إلى درجة الفشل في القيام بمهامنا؟ وبدون أدنى شك، لا أحد منكم يريد عودة جونز؟».

أبدت الحيوانات موافقتها بخصوص هذه النقطة، وبذلك تم الانتهاء من فصل الأسرة. فتم الانتهاء من الاحتجاجات، وبعد بضعة أيام، تم الإعلان عن أنه مستقبلاً ستستيقظ الخنازير متأخرة بساعة عن بقية الحيوانات.

جاء فصل الخريف بعد فصل من العمل المخيف، كانت الحيوانات منهكة لكنها سعيدة. وبعد بيع جزء من العلف والشعير، لم تتضاءل ذخيرة فصل الشتاء، لكن الطاحونة عوضت كل خيبة أمل. إنها الآن شبه مكتملة. خارج البيت الطقس جاف والحيوانات تعمل بجهد أكثر من أي وقت مضى تحت سماء صافية، والسبب في رأيهم أنه من الأفضل نقل قطع من الأحجار كل يوم لبناء جدران الطاحونة. حتى أن «بوكسر» كان يعمل وحيداً في بعض الليالي ساعة أو ساعتين، تحت ضوء قمر أيلول/ شتنبر. وأثناء ساعات وقتهم الفارغ،

كانت الحيوانات تحيط بالطاحونة التي في طور البناء، والتي لن تكتمل أبداً، وتقف بإعجاب أمام قوة وانتصاب الجدران، وأمام أنفسهم هم الذين شيدوا عملاً مهيباً مثل هذا. وحده العجوز بنيامين يرفض هذه الحماسة، من دون أن يقول شيئاً سوى ترديد ملاحظاته الغامضة عن جنسه الحيواني الذي يعمر طويلاً.

جاء شهر نوفمبر ومعه رياح عاتية تهب من الجنوب الغربي. كان يجب وقف الأشغال، فمع الطقس الرطب يستحيل خلط الإسمنت. وذات ليلة هبت عاصفة قوية إلى درجة أن بنايات المزرعة اهتزت، وتطايرت بعض قطع قرميد سقف الحظيرة. قفزت الدجاجات من نومها وقوقأت من الرعب. كانت كلها غارقة في حلم واحد، فظنت أنها تسمع طلقة بندقية بعيدة. وعندما استيقظت الحيوانات في الصباح لاحظت أن سارية العلم قد تحطمت، وأن شجرة الدردار في أسفل الحديقة قد اقتلعت من جذورها مثل نبات الفجل. ومن هول اكتشافها أطلقت صرخة يائسة. فما رأته بأعينها لا يحتمل: الطاحونة محطمة.

هرعت جميعها إلى موقع الكارثة. كان نابوليون الذي لم يتعود على المشي مسرعاً، يجري أمامها. نعم، فها هي ثمرة مواجهاتها العديدة: هذه الجدران التي اقتلعت من أساساتها، وهذه الأحجار المبعثرة التي عانوا كثيراً من أجل كسرها ونقلها. وهي مندهشة، ألقت الحيوانات نظرة حداد على هذه

الأنقاض. بدأ نابوليون في صمت يجوب المكان طولاً وعرضاً، وهو يزفر من وقت إلى آخر، ذيله متشنج يتأرجح من اليمين إلى اليسار، وهو في حالته هذه، دليل على الأفكار التي تتحرك داخل رأسه. وفجأة توقف، إشارة إلى اتخاذ قراره، فقال:

«أيها الرفاق، هل تعرفون من المسؤول؟ هل تعرفون من هو العدو الذي جاء في الليل ودمر طاحونة الهواء؟ إنه سنوبول. قال نابوليون مزمجراً.

نعم، قال مضيفاً، إنه «سنوبول»، وبمكر خاص ليدمر جميع خططنا، وينتقم لطرده المخزي. إنه هو الخائن. وقد تسلل إلى المزرعة تحت جنح الظلام ودمر في لحظة واحدة سنة كاملة من العمل.

أيها الرفاق، من هذا المكان أعلن الحكم بعقوبة الإعدام على «سنوبول». وكل من يقبض عليه ويقوده أمام العدالة سيتوج حيواناً-بطلاً من الدرجة الثانية وسيكافأ بنصف صاع من التفاح».

أن يصبح «سنوبول» قادراً على ارتكاب هذا العمل الدنيء كان بمثابة اكتشاف أثار سخطاً كبيراً لدى جميع الحيوانات. غضب مثل هذا جعل الجميع يفكرون في الوسائل للتمكن من «سنوبول» عندما يأتي إلى المزرعة. ومباشرة بعد ذلك تم اكتشاف آثار أقدام خنزير فوق العشب، بالقرب من الهضبة. يمكن للحيوانات أن تقتفي تلك الآثار على بعد أمتار قليلة،

لكن يبدو أنها تقود إلى جحر داخل سياج من الأغصان. شم نابوليون الآثار بطريقة دالة، ثم أعلن بأنها تخص «سنوبول». ورأى أنها قادمة من مزرعة «فوكسوود». وعندما انتهى من الشم صرخ:

«لا مجال للتأخير أيها الرفاق. العمل ينتظرنا. سنبدأ هذا الصباح في بناء الطاحونة، ولن نتوقف طيلة الشتاء، سواء أمطرت أو هبت ريح. سنقول لذلك الخائن الممقوت إنه لا يمكن بسهولة تحطيم عملنا. تذكروا ذلك جيداً أيها الرفاق: يجب تعديل خططنا بأي شكل من الأشكال. وسننهيها في الموعد المحدد. إلى الأمام، أيها الرفاق. تحيا الطاحونة. تحيا مزرعة الحيوان».

الفصل السابع

جاء الشتاء قاسياً. بعد البروق، سقط الثلج ثم البرد. بعد ذلك ساد طقس جامد استمر حتى نهاية شهر فبراير. وكيفما كان الطقس، فقد واصلت الحيوانات بناء الطاحونة، وهي تعلم أن أنظار العالم الخارجي تراقبها، وأن الحاسدين سيشعرون بسعادة النصر، إذا لم تنجز الطاحونة في الوقت المحدد.

تظاهر جيران المزرعة، بسوء نية، بعدم تصديق التهمة الموجهة إلى «سنوبول»: الطاحونة انهارت لوحدها، بسبب ضعف جدرانها. أما الحيوانات فتعلم أن الأمر ليس كذلك، فقررت مرة أخرى إعادة بناء الجدران على ثلاثة أرجل سميكة، عوض ثمانية عشر بوصة، كما في المرة السابقة. وقد تطلب منهم ذلك جلب كمية كبيرة من الأحجار. لكن الثلج الذي تساقط لمدة طويلة فوق المقلع أخر الأشغال. تلا ذلك طقس بارد وجامد، فبدأت الحيوانات في العمل، لكنه كان عملاً مجهداً، أفقدهم جزءاً من حماسهم. كانوا يشعرون

بالبرد طيلة الوقت، وفي أحيان كثيرة يتضورون جوعاً أيضاً: وحدهما «بوكسر» و«كلوفر» حافظا على حماسهما. كانت الحيوانات تستمع إلى التوجيهات الرائعة التي يقدمها «سكويلر» عن سعادة العمل وشرف العامل، لكنها كانت تجد الدعم في قوة «بوكسر» كما في عملته المنيعة: «سوف أعمل بجد».

في شهر فبراير عرفت المؤونة نقصاً كبيراً. فخفضت حصص الشعير إلى نسب معقولة، وتم الإعلان عن حصص إضافية من البطاطا كتعويض. لكن تبين أن جزءاً كبيراً من البطاطا قد تجمد، لأنه لم يحفظ جيداً تحت التبن. فأصبحت رخوة وشاحبة، وغير صالحة للأكل. أمضت الحيوانات أياماً لا تأكل سوى العشب والشمندر. فبدت وكأنها مهددة بالنفوق البطيء.

كان مهماً جداً إخفاء هذه الحقيقة عن العالم الخارجي. بدأ الناس يروجون العديد من الإشاعات الجديدة عن مزرعة الحيوان، وقد شجعهم على ذلك انهيار الطاحونة. فقد أشاعوا مرة أخرى أن الحيوانات بدأت تنفق من الجوع، والأمراض تفشت، والاقتتال جار بينها، حيث كل حيوان يقتل صغاره، وبدافع الجوع بدأت تتصرف كمفترسة حقيقية. إذا أصبحت الوضعية الغذائية معروفة، فإن نتائجها ستكون قاتلة. وهذا ما يعيه نابوليون بوضوح. فقرر اللجوء إلى السيد «ويمبر»، قصد إثارة مشاعر مغايرة لديه. لم تتح للحيوانات تقريباً أي فرصة للقاء بالسيد «ويمبر» عندما كان يزور المزرعة كل أسبوع. منذ

الآن سيتم اختيار بعض الحيوانات بدقة، خصوصاً الخراف، للهتاف على مسامع «ويمبر» بالزيادة في حصص الطعام. وبالإضافة إلى ذلك، فقد أمر نابوليون بملء صناديق المؤونة الفارغة الموجودة في المخزن بالرمل عن آخرها، وبعد ذلك تملأ بما تبقى من الحبوب والدقيق.. اختلق نابوليون ذريعة مستساغة، وقام رفقة السيد «ويمبر» بزيارة المخزن وطلبوا منه إلقاء نظرة على الصناديق. وقع «ويمبر» فريسة للخداع، فأشاع في كل مكان أن «مزرعة الحيوان» لا تعاني من المجاعة.

ورغم ذلك، في نهاية شهر يناير، أصبح من الضروري جلب الحبوب من مكان ما. في هذه الفترة، قلل نابوليون من ظهوره أمام الملأ. كان يقضي معظم وقته داخل البيت الذي تحرس أبوابه كلاب متوحشة. وإذا خرج من عزلته فبمظهر تسوده مراسيم مهيبة، تحت حراسة مشددة، ومحاط بستة كلاب تزمجر كلما حاول أحد الاقتراب منه. كان أحياناً لا يخرج حتى لحضور اجتماعات صباح يوم الأحد، لكنه كان يصدر أوامره من خلال أحد الخنازير، غالباً ما يكون «سكويلر».

في صباح أحد أيام الأحد أعلن «سكويلر» أن على الدجاجات أن تقوم بتسليم بيضها الذي وضعته مؤخراً. لقد تعهد نابوليون، من خلال «ويمبر»، بتوفير أربعمائة بيضة في الأسبوع. وفي المقابل، سيتزود الحيوانات بكمية من الدقيق والحبوب تكفي حتى الصيف، والرجوع إلى حياة أقل شقاء.

عندما سمعت الدجاجات هذه الأوامر، أطلقت صيحات غاضبة. لقد تم إنذارها سابقاً بأن هذه التضحية ستصبح ضرورية، لكنها لم تصدق أن الأمر سيصل إلى هذه الدرجة. فأكدت للجميع أنها تحضن بيضها كي يفقس في الربيع، وأن أخذه منها يعتبر جريمة. للمرة الأولى منذ طرد جونز، حدث نوع من التمرد. فتحت قيادة ثلاثة دجاجات سوداء، حاول الدجاج إفشال مخطط نابوليون. اقتضت مقاومتهم أن يجثموا فوق عوارض السقف، ومنها ستلقي ببيضها ليتكسر على الأرض. جاء رد فعل نابوليون سريعاً وقاسياً، إذ أمر بإلغاء حصص الطعام الخاصة بالدجاج، وأعلن أن أي حيوان يضبط وهو يقدم لهم ولو حبة واحدة سيتم إعدامه. سهرت الكلاب على تطبيق هذه الأوامر. لم يصمد الدجاج سوى خمسة أيام، بعد ذلك استسلم والتحق بخمه. في تلك الأثناء نفقت تسع دجاجات. تم دفنها في الحديقة، بعد ذلك أشيع بأنها نفقت بمرض الخريزات. لم يعلم «ويمبر» بالأمر، وفي الوقت المحدد تم شحن البيض. وأخذت شاحنة صاحب البقالة تأتي كل أسبوع لأخذ الكمية المتفق عليها.

طيلة تلك الفترة لم يظهر «سنوبول». لكن يشاع أنه بدون شك يختبئ في إحدى المزرعتين المجاورتين. قد يكون في مزرعة «فوكسوود» أو «بينشفيلد». وقد كانت علاقة نابوليون مع جاريه جيدة إلى حد ما. ويجب القول إنه، منذ عشر سنوات، كانت توجد في الساحة كومة من لوح السنديان. وهو

خشب من النوع الجيد كان «ويمبر» قد نصح نابوليون ببيعه. ومن جانبهما، كان كل من السيدان «بيلكينغتون» و«فريدريك» يرغبان في اقتنائه. لكن نابوليون كان يتردد بين الاثنين غير قادر على اتخاذ القرار. وكانت الحيوانات تلاحظ أنه كلما مال نابوليون نحو السيد فريدريك، يشاع أن «سنوبول» يختبئ في مزرعة «فوكسوود»، بينما عندما يريد البيع للسيد «بيلنغتون» يكون «سنوبول» مختبئاً في مزرعة «بينشفيلد».

بحلول فصل الربيع، عرفت المزرعة خبراً أقلق الجميع: «سنوبول» يتردد على المزرعة ليلاً. وهو أمر أزعج الحيوانات وأبعد عن عيونها النوم. حسب الإشاعة، فإن «سنوبول» يتسلل تحت جنح الليل ليرتكب مائة عمل سيء. إنه هو من يسرق الحبوب، ويقلب الدلاء المليئة بالحليب، ويكسر البيض، ويدوس على الشتلات، ويقشر لحاء أشجار الفواكه. لقد جرت العادة أن ينسب إليه كل إزعاج، وكل ضرر. فإذا كسر زجاج نافذة، أو سد مجرى الصرف الصحي، فإن التهمة توجه إليه. وعندما يضيع مفتاح الخزنة فإن صراخاً واحداً يتردد في المزرعة: لقد رماه سنوبول في البئر. وهناك شيء آخر أكثر غرابة، هو أن الحيوانات ما زالت مقتنعة بذلك رغم أنها وجدت المفتاح تحت كيس الحبوب. أما الأبقار فقد أجمعت على كون سنوبول تسلل، ويا للمفاجأة، إلى الإسطبل وحلبها وهي نائمة. وحتى الفئران التي التحقت بهم هذا الشتاء، اتهمت بكونها متواطئة معه.

صرح نابوليون بأن على تحركات سنوبول أن تخضع لتحقيق صارم. فبدأ يفتش بنايات المزرعة بدقة، وهو محاط بكلابه، فيما الحيوانات الأخرى تتبعه على مسافة احتراماً لمكانته. كان يتوقف أحياناً ليشم الأرض، مدعياً أنه قادر، بواسطة الرائحة، على كشف بصمات سنوبول. لم يترك مكاناً في الحظيرة والإسطبل، في خم الدجاج أو حقل الخضر، إلا ودس فيه أنفه، ليقنع الحيوانات بأنه يقتفي أثر الخائن. كان يشم بفنطيسته الأرض عدة مرات، ثم صرخ بصوت مخيف: «سنوبول. لقد مر من هنا، حاسة شمي تقول لي ذلك». ما أن سمعت اسم «سنوبول» حتى أظهرت الكلاب أنيابها وأطلقت نباحاً انفطرت له القلوب.

تملك الرعب جميع الحيوانات. كما لو أن سنوبول، هذا الحضور الشرس، الدائم التسكع، يهددهم بالعديد من المخاطر. ذات ليلة استدعاهم «سكويلر» جميعاً. كانت تبدو على وجهه علامات القلق، وكان يرتعش في مكانه، وقال لهم إنه يحمل لهم أخباراً خطيرة للغاية.

«أيها الرفاق. صرخ وهو يرتعش بعصبية، لقد باع سنوبول نفسه لـ «فريدريك» صاحب مزرعة «بينشفيلد» الذي يدبر الآن مؤامرة لمهاجمتنا والاستيلاء على مزرعتنا. وسيكون سنوبول هو دليله أثناء الهجوم. لكن هناك ما هو أسوء. لقد اعتقدنا أن تمرد سنوبول كان بدافع الانتقام والطموح الشخصي. لقد أخطأنا، أيها الرفاق. هل تعرفون ما هي

دوافعه الحقيقية؟ منذ اليوم الأول كان سنوبول عميلاً لجونز. ولم يكف يوماً عن أن يكون عميله السري. ونحن نمتلك الحجة التي هي عبارة عن وثائق ضاعت منه اكتشفناها مؤخراً. وأنا أرى أيها الرفاق أن هذا الأمر يفسر العديد من الأشياء. ألم نر بأعيننا أنه كان يحاول- من دون نجاح لحسن الحظ- أن يقودنا إلى الهزيمة والإبادة، أثناء معركة الحظيرة؟».

أصيبت الحيوانات بالذهول. إن هذا الإثم الكبير يتجاوز بكثير تدمير الطاحونة. إنه يتجاوز كل حد. وقد تطلب منهم الأمر عدة دقائق حتى تستوعبه. فبدأت تتذكر، أو ظنت أنها تتذكر، سنوبول وهو يترأسهم في معركة الحظيرة، وكيف كان يثير حماستها من دون توقف ويستجمع قواها، ولم تثنه عن ذلك حتى رصاصات جونز التي استقرت في ظهره. انتبهت للأمر بسرعة، ووجدت صعوبة كبيرة في استيعاب كيف أنه كان إلى جانب جونز. وحتى «بوكسر» الذي لا يطرح السؤال أبداً، بقي مشدوهاً. تمدد على الأرض، ووضع قائمتيه الأماميتين أسفل بطنه، ثم ركز تفكيره بقوة، وباح بما يفكر فيه، قال:

«أنا لا أصدق الأمر. لقد قاتل سنوبول في معركة الحظيرة بشجاعة. شاهدت ذلك بعيني. وبعد المعركة مباشرة، ألم نقلده وسام الحيوان البطل، من الدرجة الأولى؟».

- هنا كنا قد سلكنا الطريق الخطأ، أيها الرفاق، استدرك «سكويلر». لقد حاول أن يجرنا إلى الهزيمة. هذا ما نعرفه

اليوم بفضل الوثائق التي بحوزتنا.

- ومع ذلك، فقد أصيب بجروح، قال «بوكسر». لقد شاهدناه جميعاً يجري وهو ينزف دماً.

- ذلك أيضاً جزء من المكيدة. صرخ «سكويلر». فرصاصة جونز لم تصبه إلا بخدوش. إذا كنت تجيد القراءة، سأعطيك الحجة مكتوبة بخط يده. لقد كانت المؤامرة تقتضي بأن يعطي سنوبول في اللحظة الحرجة الإشارة بالفرار، وترك الميدان للعدو. وكاد ينجح، أيها الرفاق، كاد ينجح، لولا رئيسكم البطل، الرفيق نابوليون. هل نسيتم؟ ففي اللحظة ذاتها التي دخل فيها جونز ورجاله الساحة، غير سنوبول رأيه، وجر وراءه عدداً كبيراً من الحيوانات. وفي اللحظة التي تمكن الرعب من الجميع، وبدا الجميع ضائعاً، قفز الرفيق نابوليون إلى الأمام وهو يصرخ «الموت للإنسانية»، وانقض بأنيابه على ربلة ساق جونز. لا شك في أنكم تتذكرون ذلك، أيها الرفاق؟ قال سكويلر ذلك وهو يرتعش.

عندما استمعت الحيوانات إلى قصة المعركة الزاهية الألوان، ظنت أنها تتذكر ما حدث. فقد تذكرت، على أي حال، أن سنوبول انسحب في اللحظة الصعبة. لكن بوكسر وحده ظل مضطرباً، فقال في الأخير:

«لا أعتقد أن سنوبول كان خائناً في بداية المعركة. فما فعله في ما بعد هو قصة أخرى. غير أني أعتقد أنه تصرف

كرفيق في معركة الحظيرة».

رد عليه سكويلر بنبرة واثقة وهو يزن كلماته:

«لقد أعلن رئيسنا، الرفيق نابوليون، بكل تأكيد، بكل تأكيد أيها الرفاق، أن سنوبول كان عميلاً لجونز منذ البداية. نعم، وحتى قبل أن نفكر في الثورة».

- آه، الأمر مختلف في هذه الحالة، قال بوكسر موافقاً. إذا كان الرفيق نابوليون هو من يقول ذلك، فإن الأمر حقيقي.

- «الحمد لله، أيها الرفاق» صرخ سكويلر، وألقى نظرة شزرة بعينيه الصغيرتين البراقتين على بوكسر. وهو يستعد للخروج، التفت وأضاف بلهجة احتفالية: «أحذر كل واحد منكم، يجب أخذ الحيطة والحذر. فلنا أسبابنا الوجيهة للاعتقاد بأن بعض عملاء سنوبول السريين يختبئون بيننا في الوقت الحالي».

بعد أربعة أيام، وفي نهاية الظهيرة، أمر نابوليون جميع الحيوانات بعقد اجتماع في الساحة. وعندما حضر الجميع، خرج عليهم من بيت المزرعة بصدر مزين بوسامين (لقد منح نابوليون لنفسه مؤخراً وسامي الحيوان البطل، من الدرجة الأولى والثانية). كان محاطاً بكلابه التسعة التي تزمجر: أصابت الحيوانات برعشة برد في الظهر، فجلس كل واحد منها في صمت، كما لو أنها تنتظر حدوث شيء مروع.

ألقى نابوليون على الحضور نظرة قاسية، ثم أطلق صرخة

زائدة الحدة. بسرعة قفزت الكلاب إلى الأمام، وأمسكت بأربعة خنازير من آذانها وجرتها، وهي تصرخ مرعوبة إلى تحت قوائم نابوليون. بدأت آذان الخنازير تنزف. بعد لحظات اجتاحت الكلاب التي كانت أنيابها تقطر دماً، حالة من الغيظ المجنون. وأمام ذهول الجميع، ارتمت ثلاثة كلاب على بوكسر. مبادراً لمهاجمتها، ضرب الحصان أحدها في الصميم بحافره وأسقطه أرضاً. فصرخ الكلب طالباً الرحمة. فيما فر الآخران، وذيليهما بين الفخذين. نظر بوكسر إلى نابوليون نظرة تساؤل. هل يقضي على الكلب أو يتركه حياً؟ ظهرت على نابوليون تعابير مغايرة، وبلهجة صارمة أمره بترك الكلب يذهب إلى حال سبيله. فرفع بوكسر حافره. هرب الكلب ممزقاً وصارخاً من الألم.

وهكذا خفت الجلبة. وبقيت الخنازير الأربعة مذهولة ومرتعدة، ويمكن قراءة تعابير الشعور بالخطأ على وجوهها. طلب منها نابوليون الاعتراف بجريمتها. كانت هي الخنازير التي احتجت عندما ألغى نابوليون اجتماع يوم الأحد. فاعترفت بدون اتباع الإجراءات القانونية. نعم، لقد اتصلت سرياً بسنوبول منذ طرده. نعم، لقد تعاونت معه على تحطيم الطاحونة الهوائية ونعم اتفقت معه على تسليم «مزرعة الحيوان» إلى السيد «فريدريك». وقدمت دليلاً آخر على أنه خائن: فمنذ سنوات وهو عميل سري لجونز. وما أن انتهت من اعترافاتها حتى انقضت عليها الكلاب في الحال. وبصوت

أجش، طلب نابوليون هل من حيوان آخر يريد الاعتراف.

تقدمت الدجاجات الثلاث اللاتي قدن العصيان في قضية البيض، وقالت إن «سنوبول» ظهر لها في الحلم، وحرضها على عصيان أوامر نابوليون. كان مصيرها هي الأخرى الذبح. بعد ذلك تقدمت إوزة واعترفت بأنها أخفت ست سنبلات من القمح من حصاد العام الماضي وأكلتها في الليل. تقدم خروف واعترف بأنه تبول في المورد، بتحريض من «سنوبول». واعترف خروفان آخران بقتل كبش عجوز من أتباع نابوليون: فبينما كان يعاني من إنفلونزا الدماغ، تعقبوه ورموه في النار. كل من اعترف نفذ فيه حكم الإعدام. وهكذا توالت الاعترافات والإعدامات. فتم تكديس الجثث أمام أقدام نابوليون، فبدا الجو ثقيلاً برائحة الدم التي لم تعرف المزرعة لها مثيلاً منذ طرد جونز.

عندما انتهت المحاكمة، تسللت بقية الحيوانات هاربة، باستثناء الكلاب والخنازير. كانت ترتجف من الخوف، ولم تستطع التحدث عما يصيبها بالاضطراب أكثر: خيانة من كانوا مرتبطين بسنوبول، أم وحشية العقاب. في الأيام السابقة، كانت تحدث مثل هذه المجزرة، لكن الأفظع اليوم هو أن المجزرة تحدث بين الحيوانات. ومنذ أن غادر جونز المزرعة، لم يقتل أي حيوان حيواناً آخر، حتى ولو كان فأراً صغيراً. وحين بلغت الحيوانات الهاربة التلة حيث تنتصب الطاحونة التي لم تكتمل، ونامت ملتصقة ببعضها، بحثاً عن الدفء.

كان هناك كلوفر، إيدمي موريل، بنيامين، البقر والخراف، وسرب مختلط من الإوز والدجاج: الكل هنا، باستثناء القطة التي توارت قبل الدعوة بالاجتماع. وحده «بوكسر» بقي واقفاً، دون أن يتخذ مكاناً محدداً، ويحرك ذيله الأسود الطويل من جهة إلى أخرى، ويصدر بين وقت وآخر صهيلاً حائراً، وفي الأخير قال:

«ذلك يتجاوزني. لم أتخيل قط أن أموراً مثل هذه ستحصل في مزرعتنا. لا شك في أننا ارتكبنا بعض الأخطاء. الحل الوحيد، في نظري، يكمن في المزيد من العمل. منذ اليوم، سأستيقظ باكراً قبل ساعة من الموعد المعتاد».

ثم غادر متثاقلاً متوجهاً نحو المقلع. ومرة أخرى، قام بحمل كميتين كبيرتين من الحجر وجرهما نحو الطاحونة، قبل أن يأتي الليل ويأوي إلى مربطه.

تجمعت الحيوانات حول «كلوفر»، والتزمت الصمت. من التل الذي اضطجعت عليه، ينكشف منظر فسيح للقرية، وجزء كبير من المزرعة كان مرئياً، المرعى الطويل الذي يمتد حتى الطريق، حقل الحشائش، الغابة الصغيرة، المورد، الحرث الذي ينمو فيه القمح بغزارة، والأسقف الحمراء للبنايات التابعة للمزرعة تتصاعد منها أعمدة دخان لولبية. إنها شفافية ليلة ربيعية. العشب والسياجات المثقلة بالبراعم تلمع كالذهب تحت الأشعة المائلة للشمس. لم تبد المزرعة قط للحيوانات مرغوباً فيها كما بدت اليوم. لقد ذهلوا وهم

يتذكرون أنها كانت لهم، وأن كل شبر ينتمي إليهم. وعندما بدأت «كلوفر» تنظر إلى السفح، امتلأت عيناها بالدموع. ولو أتيح لها أن تعبر عن أفكارها لقالت: «ولكننا ليس هذا ما كنا نتطلع إليه حين فكرنا، سنوات بعد ذلك، في الانقلاب على الجنس البشري. فهذه المشاهد المرعبة وهذه المذابح، ليست هي ما كنا نتمناه ليلة أشعل فينا العجوز «ميجر» جذوة الثورة. فإذا كانت هناك من صورة للمستقبل، فستكون صورة مجتمع الحيوانات المتحررة من الجوع والسوط، حيث الحيوانات متساوية، كل واحد منها يشتغل حسب طاقاته، القوي يحمي الضعيف، كما كان يحمي الإوز بيضه برجليه». تلك الليلة التي ألقى فيها «العجوز ميجر» خطابه. وبدل ذلك- لم تعرف كيف تشرح ما آلت إليه الأمور- جاءت أوقات لم يعرف فيها أحد كيف يعبر عن رأيه بصراحة، حيث في كل مكان تزمجر كلاب مسعورة، حيث شهدنا إعدامات رفاق لنا تم تمزيقهم بالأنياب بعد أن اعترفوا بجرائم بشعة. ولم يخطر على بالها أدنى فكرة عن الثورة والعصيان. لكنها أيضاً تعلم أن الحيوانات اليوم هي أفضل حالاً مما كانت عليه في عهد جونز. ولكن قبل كل شيء ينبغي دق ناقوس الخطر تحذيراً من عودة جنس البشر. ومهما حصل، فإنها ستظل وفية، تعمل بجد، تنفذ الأوامر، وتتقبل مصادرات نابوليون. ومع ذلك، ليس الوصول إلى هذا الوضع هو ما كانت تتمناه أو عملت من أجله برفقة الآخرين. ليس من أجل هذا قاموا ببناء الطاحونة

وتصدوا لرصاص جونز. كانت هذه هي أفكارها، رغم أن التعبير خانها.

وفي الأخير بدأت في إنشاد «حيوانات إنجلترا»، قائلة لنفسها بأنها تعبر بهذه الطريقة عما عجزت كلماتها التعبير عنه. فبدأت الحيوانات المحيطة بها تردد في جوقة واحدة النشيد الثوري، ثلاث مرات متتابعة بتنغيم رائع، وببطء جنائزي، كما لم تفعل من قبل.

وما كادوا ينتهون من الإنشاد في المرة الثالثة حتى اقترب «سكويلر»، محاطاً بكلبين، بمظهر من له أخبار مهمة يريد تبليغها. ثم أعلن أنه منذ الآن، حسب مرسوم للرفيق نابوليون، يمنع إنشاد «حيوانات إنجلترا».

تساءلت الحيوانات وهي مرتبكة.

- لماذا؟ تساءلت «موريل».

- لن تنشدوا الأغنية، أيها الرفاق، قال «سكويلر» بلهجة حاسمة. كانت «حيوانات إنجلترا» أغنية الثورة. والثورة نجحت. وإعدام الخونة، هذه الظهيرة، أوصلها إلى ذروة نجاحها. لقد هزمنا الأعداء في الخارج كما في الداخل. في «حيوانات إنجلترا» تم التعبير عن تطلعاتنا لإنشاء مجتمع أفضل في المستقبل. والآن وضعنا أسس هذا المجتمع، فأصبح واضحاً أنه لم تعد هناك أي ضرورة لهذا النشيد.

بلغ الذعر من الحيوانات مبلغاً، لكن بعضها كان يريد الاحتجاج، إلا أن الخراف في هذه اللحظة بدأت ترتل نشيدها

المعتاد: «نعم لذوات الأربعة قوائم، لا لذوات الاثنين». واستمرت تنشد طيلة عدة دقائق، وبذلك وضعوا حداً للنقاش.

وهكذا لم يعد يسمع نشيد «حيوانات إنجلترا». وعوضاً عنه كتب الشاعر «مينيموس» مقاطع غنائية جديدة هذا مطلعها:

مزرعة الحيوان، مزرعة الحيوان

ليس من طريقي يأتي الأذى.

هذا هو النشيد الذي أصبح يغنى كل أحد صباحاً بعد تحية العلم. لكن الحيوانات أدركت أن هذه الكلمات لا ترقى إلى كلمات نشيد «حيوانات إنجلترا».

الفصل الثامن

بعد بضعة أيام، وبعدما تلاشى الرعب الذي أحدثته الإعدامات، تذكر بعض الحيوانات- أو على الأقل بدا لها ذلك، ما توجبه الوصية السادسة: «يحظر على حيوان قتل حيوان آخر». ورغم أن لا أحد قد تجرأ على ذكر ذلك على مسمع الخنازير والكلاب، إلا أنهم وجدوا أن الإعدامات تخالف منطوق الوصية. طلبت «كلوفر» من بنيامين أن يقرأ لها الوصية السادسة، وعندما رفض، كما هي عادته، مدعياً أنه لا يتدخل في الشؤون التي لا تعنيه، وجهت طلبها إلى «موريل». قرأت «موريل» الوصية. تقول: «يحظر على حيوان قتل حيوان آخر من دون سبب مقبول». لم تتذكر الحيوانات، لسبب أو لآخر، الكلمات الثلاث الأخيرة. لكن الآن اتضح لها أن الوصية السادسة لم تخرق. فبجلاء توجد أسباب معقولة لقتل الخونة الذين تآمروا مع سنوبول.

طيلة هذا العام والحيوانات تعمل بجهد أكثر من السنة الفارطة. فإنهاء الطاحونة في الوقت المناسب، ومضاعفة سماكة جدرانها خلافاً للجدران السابقة، موازاة مع الأشغال

المعتادة في المزرعة، كل ذلك يشكل عناء ساحقاً. في بعض الأيام، كانت الحيوانات تشعر بأنها تكد أكثر مما كانت عليه أيام جونز، ولكن من دون أن تتحسن تغذيتها. يوم الأحد صباحاً، أمسك «سكويلر» بشريط ورقي طويل وبدأ يقرأ قائمة من الأرقام. استخلص منها ارتفاعاً مثبتاً في كل صنف من أصناف الإنتاج: 200، 300 أو 500 بالمائة حسب الحالة. لم تجد الحيوانات ما يدعوها للتشكيك في صحة هذه الإحصائيات، خصوصاً وأنها لا تتذكر وضعية الإنتاج قبل الثورة. ورغم كل شيء، فقد مضت أوقات كانت تفضل فيها الأرقام القليلة والأكل الوافر.

أصبحت كل الأوامر الآن تنقل إليهم عن طريق «سكويلر» أو أحد الخنازير. وإذا ظهر نابوليون أمام الحيوانات مرة كل أسبوعين، فإن ظهوره يكون احتفالياً. وقد انضاف إلى الكلاب المحيطة به ديك أسود يافع ومتكبر، يتبع الرئيس، يؤدي وظيفة البوق، إذ إنه قبل أن يتكلم الرئيس يطلق هو صيحة حادة. قيل إن نابوليون أصبح له وضع خاص، حيث إنه أصبح يقيم في البيت الذي يضم جناحاً خاصاً به. ويقوم بخدمته كلبان، وأصبح يتناول وجباته وحيداً في الأواني الخزفية من نوع «ديربي» مختومة بتاج، كانت في الماضي معروضة في الخزانة الموجود في غرفة الجلوس. وقد أعلن أيضاً أن دفعة من الرصاص ستطلق من بندقيته للاحتفال بعيد ميلاده، واليومين السنويين الأخريين.

لم يعد يشار إلى نابوليون باسم شهرة واحد. فقد أصبح من الواجب الإشارة إليه بلغة رسمية: «رئيسنا، الرفيق نابوليون». إضافة إلى أنه أصبح يروق للخنازير منحه ألقاباً من قبيل: أب جميع الحيوانات، مرعب البشر، حامي حظيرة الأغنام، صديق فراخ البط، وسواها من الألقاب. كان سكويلر يمجد في خطبه حكمة نابوليون وطيبة قلبه وحبه الجم لكل حيوانات الدنيا، وخصوصاً التعسة منها في المزارع الأخرى التي مازالت تخضع للجهل والعبودية. كما أصبح أمراً مألوفاً أن ينسب لنابوليون كل عمل ناجح أو كل ضربة حظ موفقة. وكثيراً ما تسمع دجاجة وهي تقول لدجاجة أخرى: «تحت القيادة المستنيرة للرفيق نابوليون، قائدنا، وضعت خمس بيضات في ستة أيام». أو أيضاً حديث بقرتين تشربان من البركة: «الفضل يرجع لرفيقنا ونبراسنا نابوليون، ما أعذب هذا الماء». أما الشعور فقد عبرت عنه قصيدة «مينيموس» عنوانها «الرفيق نابوليون»، هذا نصها:

صديق اليتيم

نبع السعادة

الروح السامية الهنيئة

يا واهب الكلأ نور نظرتك يعكف على الخلق

كشمس في سمائنا، كينبوع للتأمل

أيها الرفيق نابوليون.

أيها الواهب العظيم

لكل ما نحب

أيها الإله الخالق

واهب الصغير وسيد كل الفنون

نعم، كل حيوان

كل حيوان مدين لك بالتبن الجاف وبالبطن الممتلئ

أيها الرفيق نابوليون.

حتى الخنزير الصغير

الذي ما زال رضيعاً

لابد أن يعلم أنه تحت لوائك

كل حيوان يلتزم الصمت

وإن صرخته الأولى ستملأ أفقك

أيها الرفيق نابوليون.

أبدى نابوليون موافقته على القصيدة، وأمر بكتابتها على جدار في الحظيرة، على الجدار المقابل الذي كتبت عليه الوصايا السبع. وفي الواجهة رسم «سكويلر» صورة لنابوليون بالصباغة البيضاء.

في تلك الأثناء، دخل نابوليون، بوكالة «ويمبر»، في مفاوضات معقدة مع فريدريك وبيلنغتون. فكومة الأخشاب لم يتم بيعها. لم يمنح فريديريك، الأكثر تحمساً لشرائها، سعراً

مناسباً. وبالموازاة مع ذلك راجت من جديد شائعة تقول بأن فريديرك ورجاله سيهجمون على مزرعة الحيوان. وسيحطمون الطاحونة التي أثارت لدى فريدريك غيرة جنونية. وكان الجميع يعرف أن سنوبول مازال مختفياً في مزرعة «بينشفيلد».

في منتصف فصل الصيف، استقبلت الحيوانات بقلق كبير خبر أن ثلاث دجاجات اعترفن تلقائياً بكونهن اشتركن في مؤامرة «سنوبول» لاغتيال نابوليون، فتم إعدامهن في الحال، وأن إجراءات جديدة قد اتخذت لحماية القائد. وفي الليل تقوم أربعة كلاب تحرس سريره ليلاً، كلب واحد في كل زاوية، فيما كلف خنزير صغير يدعى «بينكي» بمهمة تذوق طعامه، خوفاً من أي تسمم.

وفي الوقت نفسه، أعلن أن نابوليون اتخذ قراراً ببيع الخشب إلى السيد «بيلنغتون». وكان أيضاً على وشك عقد الاتفاق مع مزرعة «فوكسوود» يخص التبادل المستمر. كما أصبحت العلاقات بين نابوليون و«بيلنغتون» ودية، رغم أنها كانت تتم بواسطة «ويمبر». كانت الحيوانات تتخذ الحذر من «بيلنغتون»، باعتباره إنساناً، لكنها كانت تفضله علناً على «فريديريك» الذي كانت تكرهه وتخافه. تمر أيام الصيف ويوشك بناء الطاحونة على النهاية، فبدأت الشائعات تزداد انتشاراً وإلحاحاً عن هجوم غادِر سيحدث في أي وقت. ويتردد أن «فريدريك» ينوي الهجوم على المزرعة بعشرين رجلاً مسلحين بالبنادق. كما أنه قام بإرشاء رجال القانون

والشرطة، بحيث إنه حتى إن تمكن من الحصول على مستندات ملكية المزرعة فإنهم لن يسائلونه عنها. علاوة على ذلك فقد راجت حكايات مرعبة حول التعامل الإجرامي المفروض على بعض الحيوانات من طرف «فريدريك» هذا: فقد جلد حصاناً حتى النفوق، وترك بقراته تنفق جوعاً، ورمى أحد كلابه في الفرن، وفي المساء كان يسلي نفسه بالتفرج على عراك الديوك، بعد أن وضع بين مخالبها شفرات الحلاقة. بعد سماعها هذه الحكايات الفظيعة، توقفت الدماء في شرايين الحيوانات، فكانت أحياناً تصرخ معبرة عن رغبتها في السماح لها بالهجوم على «بينشفيلد» وطرد الرجال منها وتحرير الحيوانات. لكن «سكويلر» نصحها باجتناب أي فعل متهور والعودة إلى استراتيجية الرفيق نابوليون.

ورغم ذلك، فقد استمر الحقد الحاد على فريدريك في التفاقم. وفي صباح يوم أحد، جاء نابوليون إلى الحظيرة ليشرح للحيوانات بأنه لم يفكر قط في بيع الخشب لفريدريك. فكرامته تحتم عليه عدم التعامل مع هؤلاء الأوغاد. ومنع الحمام الذي كلف بمهمة نشر أخبار الثورة في الخارج، من الهبوط على أي شبر من أرض مزرعة «فوكسوود». كما أمرت أيضاً بالتخلي عن شعارها السابق: «الموت للبشر»، وتعويضه بـ «الموت لفريدريك».

في نهاية الصيف، تم الكشف عن مكيدة أخرى من مكائد سنوبول. لقد غمرت الأعشاب الضارة حقول القمح، وتبين

أن سنوبول، خلال إحدى تسللاته الليلية للمزرعة، خلط الشيلم بالقمح الجيد. ولقد اعترف أحد ذكور الإوز بما اقترفه لسكويلر، ثم انتحر بتناول كمية من ثمرة الأطرب السامة. كما علمت الحيوانات مرة أخرى أن سنوبول- على عكس ما كان يعتقد الكثير منها حتى - لم يحصل قط على وسام «بطل الحيوانات، من الدرجة الأولى». فتلك كانت مجرد أسطورة روجها سنوبول عن نفسه بعيد «معركة الحظيرة». وبغض النظر عن ذلك التتويج، فالسبب الحقيقي الذي كان وراء لومه هو جبنه في المعركة. ترك هذا الخبر، كما الأخبار التي راجت قبله، الحيوانات منذهلة، لكن سكويلر عرف كيف يقنعها بقصور ذاكرتها.

في فصل الخريف، وبعد جهد شاق يكاد يقترب من الأعجوبة (فقد كان على الحيوانات أن تجمع محصول الحصاد)، تم إكمال الطاحونة. ورغم أن الطاحونة ينقصها المعدات الميكانيكية، إلا أن هيكلها موجود. وكتحد للعراقيل، رغم غياب الخبرة، والوسائل البدائية الموجودة بحوزتهم، وسوء الحظ، وخيانة سنوبول، فقد تم إنجاز العمل في الوقت المحدد. وبدأت الحيوانات، المتعبة لكن الفخورة، تحوم حول عملها الإبداعي الذي بدا في عينيها أجمل من المرة السابقة. إضافة إلى أن سماكة الجدران كانت مضاعفة، ولا شيء منذ الآن يمكن أن يسقط الطاحونة، باستثناء المتفجرات.

وعندما بدأت تعيد التفكير في العناء الذي تكبدته، وفي فترات اليأس التي تغلبت عليها، وفي الحياة المختلفة التي أصبحت تحياها عندما تدور الأجنحة وتشتغل المحركات، عندما فكرت في كل هذه الأشياء، زال عنها التعب وبدأت تثب حول هذا الإنجاز، مطلقة صيحات النصر. وقد زار نابوليون بنفسه المكان وهو محاط بكلابه وبديكه اليافع، فهنأ الحيوانات على نجاحها، وأعلن أن الطاحونة سيطلق عليها اسم «طاحونة نابوليون».

يومان بعد ذلك، استدعيت الحيوانات إلى اجتماع خاص في الحظيرة. بقيت منذهلة عندما أعلن نابوليون أنه باع كومة الخشب إلى فريدريك، وأن هذا الأخير سيحضر في الغد شاحناته لأخذ البضاعة. فخلال الفترة التي تظاهر فيها بربط صداقة مع بيلنغتون، كان نابوليون يعقد مع فريدريك علاقات سرية كان نتيجتها هذا الاتفاق.

كل العلاقات مع «فوكسوود» تم قطعها، ووجهت رسائل مهينة إلى «بيلنغتون». وأمر الحمام باجتناب مزرعة «بينشفيلد» وبتغيير شعارها: «الموت لفريدريك» ليصبح «الموت لبيلنغتون».

وفي الوقت نفسه، طمأن نابوليون الحيوانات بأن التهديدات المرتقبة بالهجوم على «مزرعة الحيوان» كانت غير صحيحة. أما عن الحكايات الخاصة بقسوة فريدريك تجاه حيواناته، كانت مبالغاً فيها جداً. وأن هذه الحكايات كانت من

اختلاق سنوبول الشرير وعملائه. وبخصوص سنوبول شخصياً، فإنه أصبح من الواضح اليوم أنه لم يكن مختبئاً في مزرعة «بينشفيلد»، وإنه، في واقع الأمر، لم يزرها. منذ سنوات وكان يعيش في «فوكسوود»- في رفاهية، كما يقال- مقابل الدفاع عن مصالح «بيلنغتون».

كانت الخنازير منتشية من الإعجاب أمام دهاء نابوليون. فتظاهره بالصداقة لبيلنغتون، أرغم فريدريك على رفع السعر باثنتي عشرة ليرة عن السعر الأصلي. وما يجعل من نابوليون عقلاً استثنائياً، حسب سكويلر، هو أنه لا يثق في أحد، حتى في فريدريك. فقد أراد هذا الأخير أداء سعر الخشب عن طريق الشيك، أما هو فيرى أن ذلك ليس سوى وعد بمبلغ مالي مكتوب على قطعة من ورق. غير أن نابوليون كان أذكى من الاثنين. فقد طلب دفع السعر بأوراق من فئة خمس ليرات، تمنح له قبل شحن البضاعة. فدفع فريدريك المبلغ، الذي كان كافياً لشراء الآلة التي ستشغل الطاحونة.

قام فريدريك بنقل الخشب بسرعة، وما أن انتهت العملية، انعقد اجتماع آخر بالحظيرة حيث قامت الحيوانات بفحص الأوراق النقدية عن قرب. أما نابوليون فقد اضطجع على سرير من القش، واضعاً وساميه على صدره، وهو يبتسم بسعادة، المال بجانبه، مرتب بعناية فوق صحن من الخزف الصيني جلب من المطبخ. كانت الحيوانات تمر ببطء في طابور واحد، غير مصدقة ما تراه. أما بوكسر، فقد مد خطمه

وبدأ يشم الأوراق النقدية، التي أحدثت صوتاً وارتجفت تحت أنفاسه.

بعد ثلاثة أيام وقعت جلبة رهيبة. فقد جاء «ويمبر» على دراجته، بوجه شاحب، وتركها بسرعة في الساحة، ثم توجه مباشرة وهو يركض نحو البيت. بعد لحظات، انتبه الجميع إلى صراخ مجنون من الجناح الذي يقيم فيه نابوليون. وسرعان ما انتشرت أخبار ما وقع مثل النار في الهشيم: لقد كانت الأوراق النقدية مزورة. وفريدريك حصل على الخشب مجاناً.

دعى نابوليون الحيوانات إلى اجتماع طارئ، وبصوت مرعب أصدر حكم الإعدام في حق فريدريك. وقال إنه عندما يتم القبض عليه سيتم سلقه في الماء المغلي. وحذرها من أن ما هو أسوأ سيحدث بعد هذه الخيانة. كما أنه، في كل لحظة، يمكن لفريدريك ورجاله تنفيذ الهجوم المرتقب على المزرعة. لذلك تم وضع الحراسة المشددة على كل مداخل المزرعة. كما تم إرسال أربع حمامات نحو «فوكسوود» حاملة معها رسالة تسوية، على أمل أن تعود علاقة حسن الجوار إلى سابق عهدها.

في صباح اليوم التالي وقع الهجوم. كانت الحيوانات تتناول وجبة فطورها، عندما دخل من كانوا يحرسون المزرعة، وأخبروها بأن فريدريك وأتباعه عند البوابة الخماسية القضبان. فانطلقت الحيوانات بكل شجاعة للتصدي لهم، لكن هذه المرة لم يكن النصر سهلاً كما كان في «معركة الحظيرة».

كان الرجال، وعددهم خمسة عشر، مسلحين بست بنادق، وما إن اقتربت الحيوانات منهم على بعد خمسين متراً فتحوا النار عليها. لم يستطع المدافعون فعل أي شيء أمام الانفجارات المخيفة والرصاص الحارق، فتراجعوا، رغم محاولات نابوليون وبوكسر في تجميعهم. أصيب العديد من الحيوانات بجراح. فانسحبت إلى مباني المزرعة، واكتفت باستراق النظر إلى العدو عبر شقوق وثقوب الأبواب. فسقط المرعى الكبير، بما فيه الطاحونة، بين يدي العدو. في تلك اللحظة، بدا نابوليون نفسه ضائعاً. ودون أن ينبس بكلمة، كان يذرع الحجرة بعصبية جيئة وذهاباً وذيله منتصب. وبدأ ينظر بحنين إلى مزرعة «فوكسوود». آه، لو يأتي «بيلنغتون» ورجاله ليمدوا لهم يد المساعدة، فما زال النصر ممكناً. في تلك اللحظة عادت الحمامات الأربع التي أرسلت في مهمة، تحمل واحدة منها ورقة كتب عليها بقلم الرصاص بخط «بيلنغتون»: «هذا ما تستحقون».

في تلك الأثناء، أسرع «فريدريك» ورجاله نحو مكان الطاحونة. سرت بين الحيوانات التي كانت تراقبهم وشوشة ذعر. فاثنان من الرجال أبرزا مطرقة ضخمة وقضيباً حديدياً يستعمل كرافعة. سيدمرون الطاحونة.

«ليس لهم أي حظ في النجاح. صرخ نابوليون. لقد بنينا جدراناً سميكة جداً. حتى لو استغرقوا أسبوعاً كاملاً. كونوا شجعاناً أيها الرفاق».

لكن بنيامين كان ينظر إلى الرجلين وهما يحاولان بتركيز ثابت. كانا يحاولان بواسطة المطرقة والقضيب الحديدي إحداث ثقب في قاعدة الطاحونة. ببطء حرك بنيامين أنفه الطويل كما لو أن المشهد راقه، وقال:

«أشك في ذلك. ألا تروا ماذا يفعلان؟ لحظة وسيضعان المتفجرات في الثقب».

كانت الحيوانات تنتظر، وهي مرعوبة. كيف ستستطيع المغامرة والخروج من مخبئها؟ وبعد بضع دقائق جاء الرجال يركضون من كل الاتجاهات. ثم سمع دوي يصم الآذان. فطار الحمام مرفرفاً في الأعالي.

كل الحيوانات الأخرى، باستثناء نابوليون، انبطحت على الأرض، مخبئة رؤوسها. وعندما نهضت، شاهدت غيمة كبيرة من الدخان الأسود تغطي المكان الذي بنيت فيه الطاحونة. شيئاً فشيئاً بدد الهواء السحابة. لقد اختفت الطاحونة عن الوجود.

استعادت الحيوانات شجاعتها عندما رأت ذلك. واختفت مشاعر الخوف واليأس التي اعترتها قبل لحظات، وحل مكانها غضب جنوني ضد هذا العمل الخسيس. وانطلق صراخ مهول يطالب بالانتقام، ومن دون انتظار الأوامر انقضت الحيوانات دفعة واحدة على العدو. كما لو أن الرصاص الوابل والكثيف فوق رؤوسها، لا شيء.

لقد كانت مواجهة شرسة، أطلق فيها الرجال دفعات

عديدة من الرصاص، وعندما ضيقت عليهم الحيوانات الخناق، انهالوا عليها بالضرب بهراواتهم وأحذيتهم الثقيلة. وقتلت بقرة، وثلاثة خراف وإوزتين، فيما جرح كل الحيوانات تقريباً. وحتى نابوليون الذي كان يسير المعركة من الخلف، أصيب ذيله برصاصة. لكن الرجال لم ينجوا من الإصابة بدورهم. فبضربة واحدة من حافره شج بوكسر ثلاثة رؤوس. وبقرت بطن أحد المهاجمين بقرن بقرة، وآخر مزق سرواله من طرف الكلبتين جيسي وبولبيل. وعندما أطلق نابوليون كلابه التسعة، التي أمرت بمحاصرة العدو من وراء السياج، رآها الرجال المتعبون، فأصابهم الرعب عندما أطلقت نباحها الشرس. وجدوا أنفسهم في خطر وهم محاصرون. فصاح فريدريك في رجاله يطالبهم بالفرار كلما سنحت الفرصة. في اللحظة نفسها هرب الجبناء. إنها لحظة الهرب، لحظة النجاة. طاردت الحيوانات الرجال حتى نهاية الحقل. وهاجمتهم وهم يهربون عبر السياج.

لقد انتصرت الحيوانات في المعركة، لكنها متعبة ومغطاة بالدماء، فعادت إلى المزرعة وهي تعرج. وقد بكى بعضها عندما شاهد منظر جثث رفاقها على العشب. وبعد لحظات، توقفت وهي مكروبة أمام المكان الذي كانت تنتصب عليه الطاحونة. أوه، لقد اختفت الطاحونة، واختفى معها الأثر الأخير من عملها. حتى الأساسات دمرت. ولإعادة بنائها، لن تستطيع هذه المرة استخدام الأحجار المكسرة على الأرض،

فقد اختفت هي الأخرى. لقد قذفت بها قوة الانفجار على بعد مئات الأمتار. فبدا المشهد كما لو أن الطاحونة لم توجد قط.

وعندما اقتربت من المزرعة، ظهر سكويلر الذي لم يكن لاختفائه أثناء المعركة أي تفسير، وقف أمام الحيوانات وهو ينط ويحرك ذيله بسعادة. ثم سمعت، من جهة بنايات المزرعة، صوت طلقة نارية احتفالاً بالنصر.

سأل بوكسر: «ما هذه الطلقة النارية؟»

- للاحتفال بالنصر الذي أحرزناه. أجابه سكويلر.

- أي نصر. سأل بوكسر، وقائمتاه تنزفان دماً، لقد فقد حدوة وانشطر حافره. وأصيب ساقه الخلفي بعشرات الشظايا.

- أي نصر، أيها الأصدقاء؟ سأل سكويلر من جديد. ألم نطرد العدو من أرضنا، أرض مزرعة الحيوانات المقدسة؟

- لكنهم دمروا الطاحونة التي استغرق بناؤها سنتين.

- وماذا بعد. سنبني واحدة أخرى. سنبني ست طواحين إذا أردنا. أيها الرفيق، إنك لا تعطي لعملنا قيمته الحقيقية. لقد كان العدو يحتل هذه الأرض التي نقف عليها، واليوم، بفضل الرفيق نابوليون، وبفضل مزاياه كقائد، ها نحن نملكها إلى آخر شبر.

- إذاً، لقد استعدنا ما كنا نملكه سابقاً، قال بوكسر.

- هذا هو نصرنا. أجابه سكويلر.

دخلت الحيوانات وهي تعرج. كانت ساق بوكسر تؤلمه جداً، بسبب الرصاصات التي استقرت تحت الجلد. فتراءى له

العمل الشاق الذي تتطلبه إعادة بناء الطاحونة من أساساتها. وما أن يشرع في التفكير في هذه المهمة، يبدأ ذهنه في الانتعاش. لكن لأول مرة يعي أنه في الحادية عشرة من عمره، وربما لم يعد لعضلاته القوة نفسها التي كانت في الماضي.

لكن عندما رأت الحيوانات العلم الأخضر وهو يرفرف، وسمعت من جديد طلقات البندقية- سبع طلقات في المجموع-، وعندما قام نابوليون في الأخير بتهنئتها على شجاعتها، تبين لها، إذاً، أنها في النهاية حققت النصر. كما أقيمت مراسيم تشييع الجنازة مهيبة للحيوانات التي قضت نحبها في المعركة. جر بوكسر وكلوفر عربة النعوش، وتقدم نابوليون شخصياً الموكب. كما تم تخصيص يومين كاملين للاحتفالات. سادت فيها الأناشيد، والخطب، وطلقات أخرى من البندقية. وكاعتراف خاص بالجميل أهدي كل حيوان تفاحة. إضافة إلى أن الطيور منحت أوقيتين من القمح، والكلاب ثلاث قطع بيسكويت. وتقرر على أن تحمل المعركة اسم «معركة طاحونة الهواء»، كما علم أن نابوليون أحدث بالمناسبة وساماً جديداً أطلق عليه «وسام الراية الخضراء»، منحه لنفسه. وفي غمرة هذه الأفراح طوى النسيان قضية النقود المزيفة المؤسفة.

أيام قليلة بعد ذلك، عثرت الخنازير بالصدفة على صندوق من الويسكي منسي في أقبية المزرعة. لم ينتبه إليه أحد منذ امتلاك الحيوانات للمكان. في تلك الليلة نفسها

سمعت أصوات غناء عالية قادمة من البيت، ولدهشة الجميع، أن نغمات نشيد «حيوانات إنجلترا» اختلطت بتلك الأغنية. وعند حوالي التاسعة والنصف، شوهد نابوليون بوضوح وهو يعتمر قبعة قديمة تعود لجونز، خارجاً من الباب المركز، ويركض نحو الساحة، ثم يعود من جديد إلى الداخل. في صباح يوم الغد، ساد صمت مطبق على مزرعة الحيوان، ولم يظهر أي أثر ولو لخنزير واحد. وحوالي التاسعة، ظهر سكويلر، حائر العقل، متغير المظهر، ذيله يتدلى وراءه، ومثيراً الشفقة. ظنت الحيوانات أن مرضاً ألم به. لكنه بعد لحظة دعا الحيوانات إلى اجتماع قصد إخبارهم بنبأ سيئ. الرفيق نابوليون يحتضر.

سمع النحيب. وتم تغطية عتبات الأبواب بالقش، ومشت الحيوانات على أطراف قوائمها. سألت الحيوانات بعضها، وعيونها مليئة بالدموع، عن ما ينبغي فعله في حالة رحيل قائدها. وسرت شائعة بأن سنوبول قد نجح في دس السم في طعامه. وفي الساعة الحادية عشرة جاء سكويلر بأنباء جديدة، مفادها أن نابوليون أصدر آخر قرار له في حياته: سيعاقب بالإعدام كل من يحتسي الخمرة.

بحلول المساء، تحسنت حالة نابوليون. وبحلول الصباح أخبر سكويلر الحيوانات بأن نابوليون أصبح خارج الخطر. في مساء ذلك اليوم شرع في العمل. وفي اليوم التالي علم أنه أعطى أوامره لويمبر ليشتري من «ويلينغدون» كتيبات تشرح

الطريقة التي تصنع بها الجعة. بعد أسبوع أمر بحراثة الحقل الصغير المجاور للبستان المخصص منذ القدم للحيوانات التي لم تعد تستطيع العمل. وذريعته في ذلك الحالة السيئة التي يوجد عليها المرعى والحاجة إلى زرعه من جديد. وفي ما بعد علم أن نابوليون كان يعتزم زرع الشعير.

في ذلك الوقت، وقع حادث غريب لم يستوعب الجميع تقريباً معناه: في منتصف الليل حدث صخب عنيف في الساحة. هرعت الحيوانات إلى الخارج حيث ضوء القمر يبدد الظلام. في أسفل حائط الحظيرة، حيث كتبت الوصايا السبع، رأوا سلماً محطماً إلى نصفين، وبالقرب منه سكويلر منبطحاً على بطنه، ويبدو أنه فقد وعيه. وحوله يوجد مصباح، فرشاة وسطل صباغة بيضاء مقلوب. أحاطت كل الكلاب بالضحية، وعندما تمكن من النهوض والمشي، رافقته إلى المنزل. لا أحد من الحيوانات استطاع أن يفهم ما حدث، باستثناء العجوز بنيامين الذي أومأ بخطمه، مفضلاً الصمت.

بعد بضعة أيام، لاحظت العنزة موريل، وهي تقرأ الوصايا السبع، أن وصية أخرى فهمتها الحيوانات خطأ. فقد كانت دائماً تظن أن الوصية الخامسة تقول: «يحظر على الحيوان شرب الخمر». في حين أنها لم تلاحظ وجود كلمتين. في حين أن الوصية تقول بالحرف: «يحظر على الحيوان شرب الخمر حتى الثمالة».

الفصل التاسع

استغرق شفاء حافر بوكسر المشقوق وقتاً طويلاً. وبدأت إعادة بناء الطاحونة بعد نهاية الاحتفال بالنصر. رفض بوكسر أخذ عطلة ولو ليوم واحد. واعتبر من الكرامة عدم إظهار ألمه. وكان في الليل يعترف لكلوفر بأن حافره يؤلمه، فكانت كلوفر تضع على حافره ضمادات من الأعشاب تهيئها عن طريق المضغ. وكان بنيامين يساعدها في إقناعه بعدم بذل أي مجهود. كانت تقول له: «إن رئتا الحصان لا تتحملان إلى الأبد». لكن بوكسر لا يصغي إليها. فهو، حسب قوله، لا يملك إلا طموحاً واحداً، وهو أن يرى اكتمال أشغال بناء الطاحونة قبل بلوغه سن التقاعد.

في البداية، عندما سنت قوانين مزرعة الحيوان، حدد سن التقاعد في الثانية عشرة للخيول والخنازير، وفي الرابعة عشرة للأبقار، وفي السابعة للخراف، وفي الخامسة للدجاج والإوز. كما تم الاتفاق على قدر جزافي بالنسبة إلى تعويضات المعاش. ورغم ذلك، لم يستفد أي حيوان من هذه

الامتيازات، لكن الموضوع الآن مطروح للنقاش. ومنذ أن خصص البستان المجاور للمرعى لزراعة الشعير، انتشرت إشاعة أن قطعة صغيرة من المرعى الكبير ستحاط بسياج قصد تحويلها إلى مرعى خاص بالحيوانات التي ستحال على التقاعد. وقد تحدد للحصان المتقاعد خمسة أرطال من القمح يومياً، في فصل الشتاء. وخمسة عشرة رطلاً من التبن، إضافة إلى جزرة واحدة أو ربما تفاحة في أيام الأعياد. وقد صادف عيد الميلاد الثاني عشر لبوكسر أواخر الصيف القادم.

لكن في انتظار ذلك، جاء الشتاء قاسياً مثل سابقه، وأصبحت الحياة صعبة. وتم تخفيض حصص الطعام، باستثناء حصص الخنازير والكلاب. وقد علل سكويلر ذلك قائلاً: إن المساواة الصارمة بالنسبة إلى حصص الطعام، أمر يتناقض مع المبادئ الحيوانية. وعلى العموم، فهو لم يجد أي صعوبة في إقناع الحيوانات الأخرى بأن أعلافها في الواقع لم تعرف أي نقص، عكس ما يظهر. وقد تبين في اللحظة الراهنة أنه من الضروري إجراء تعديل على الحصص (كان سكويلر يتحدث دائماً عن «تعديل» وليس «تخفيض»)، لكن من يتذكر فترة جونز، سيظهر له أن الأمور تحسنت. فقرأ سكويلر على مسامعها بصوت حاد، وبوتيرة سريعة الأرقام التي ساعدته على أن يثبت لها بالتفصيل أن حصة الشوفان قد ارتفعت، وكذلك التبن واللفت، وأن ساعات العمل قد انخفضت، فيما ارتفعت نسبة حياتها، وأن نسبة موت صغارها قد تراجعت، كما أصبح

الماء أكثر صلاحاً للشرب، وأن التبن الذي تنام عليه أكثر نعومة، كما أن البراغيث لم تعد تلدغها كما في السابق. صدقت الحيوانات كل كلامه. ولم يعد جونز، في الحقيقة، يذكرها بأي شيء هام. فهي تعرف جدياً قساوة الحياة في الحاضر، وبأنها أحياناً تشعر بالجوع والبرد، وأنها خارج ساعات النوم تعمل في الكثير من الأحيان. لكن بلا شك فإن الأمور كانت سيئة في الماضي، وكانت سعيدة بالاقتناع بذلك. إذاً، لقد كانت عبارة عن مجموعة من العبيد، لكنها اليوم هي حرة، وهذا ما غير كل شيء. هكذا كان سكويلر يفسر لها الأمر.

كثر عدد الأفواه التي أصبحت تنتظر من يطعمها. في الخريف أنجبت الخنزيرات الأربع، وتقريباً في وقت واحد، واحداً وثلاثين خنزيراً. وبما أن الخنازير الجديدة جاءت رقطاء اللون، وبما أن نابوليون كان هو الذكر الوحيد، فإنه لم يكن صعباً إثبات نسبها. وفي ما بعد تم الإعلان عن اقتناء الخشب والطوب من أجل بناء مدرسة في الحديقة. أما الآن، وبشكل مؤقت، فقد أخذ نابوليون على عاتقه تعليم صغار الخنازير في المطبخ، أما التمارين الرياضية واللعب فقد كانت تقوم بها في البستان المجاور للبيت. كما تم إبعادها عن الاختلاط أثناء اللعب مع الحيوانات الأخرى. في ذلك الوقت أيضاً صدر أمر يقضي بأن على كل حيوان صادف على طريقه خنزيراً أن يتنحى جانباً، إضافة إلى أنه ينص على أن كل الخنازير، على

اختلاف درجاتها، ستنعم بامتياز أن تزين ذيلها، أيام الآحاد، بشريط أخضر.

مرت سنة جيدة على المزرعة، لكنها مازالت في حاجة إلى المال. ينبغي شراء القرميد، والمل والجير من أجل بناء المدرسة، وشراء الآلة التي ستشغل الطاحونة، وذلك ما فرض توفير المال، من دون نسيان زيت المصابيح والشموع للمنزل، والسكر لمائدة نابوليون (الذي منعه عن الخنازير الأخرى، بذريعة أنه يزيد من الوزن)، إضافة إلى المواد الأخرى العادية: المعدات، المسامير، الخيوط، الفحم، الأسلاك الحديدية، قطع الحديد الخردة والبيسكويت للكلاب. فتم بيع جزء من محصول البطاطس والقليل من التبن، أما بالنسبة إلى البيض فقد تم رفع عقد البيع إلى ستمائة بيضة في الأسبوع. وبهذه الطريقة، كان من الصعب على الدجاجات تفقيس العدد الكافي من الكتاكيت للحفاظ على عددها. وما أن قلصت حصص الأكل لأول مرة في شهر كانون الأول/ دجنبر، حتى خفضت ثانية في فبراير. ولتوفير الزيت، تم منع إضاءة المصابيح في الإسطبل والمربط. غير أن الخنازير كانت سعيدة، كما يظهر، بل إن وزنها ازداد. وفي إحدى فترات بعد ظهيرة من نهاية فبراير، فاحت رائحة طعام شهية لم تشم الحيوانات مثلها قط. لقد كان معمل الجعة الواقع خلف المطبخ يخضع للتنظيف بعد أن كان مهملاً من طرف جونز. قال أحدهم إن الشعير يجري طحنه. أخذت الحيوانات تشم الهواء وهي تتساءل هل يتم

تحضير حساء ساخن للعشاء. لكن لم يكن أي حساء ساخن. ويوم الأحد التالي تم إخبارها بأنه منذ الآن سيتم تخصيص كل الشعير للخنازير. لقد تم زرع الحقل الخلفي، في ما بعد شاع الخبر: كل خنزير سيتلقى حصته اليومية من الجعة، مقدار بنتة يقتسمونها بينهم، أما نصيب نابوليون فعشر بنتات، تقدم في سلطانية من الخزف الصيني الفاخر، نوع «ديربي» المختوم بالتاج.

لكن إذا كانت هناك معاناة كان لابد من تحملها، فالعزاء الوحيد هو أنها اليوم تعيش بكرامة أكثر من السابق. لقد كان هناك الكثير من الأغاني والخطابات والمواكب. فقد أمر نابوليون بتنظيم «مسيرة عفوية» مرة كل أسبوع، كان هدفها هو الاحتفال بالمعارك والانتصارات التي خاضتها وحققتها مزرعة الحيوان. كانت الحيوانات، في وقت محدد، تغادر العمل بشكل جماعي، وتمشي بخطى موزونة حول المزرعة، واحد اثنان، واحد اثنان، في شكل عسكري. تتقدمها الخنازير، وبالترتيب، الخيول فالأبقار فالخرفان وأخيراً صف الدجاج. وكانت الكلاب تحيط بالموكب. وفي المقدمة كان الديك الأسود الصغير. أما بالنسبة إلى بوكسر وكلوفر فقد كانا يحملان عالياً راية خضراء مرسوم عليها قرن وحافر، مع هذا الشعار: «يحيا الرفيق نابوليون»، متبوعاً بإلقاء قصائد على شرف نابوليون، وبعد ذلك يلقي سكويلر خطاباً غنياً بآخر المعطيات التي تحتم ضرورة الزيادة في إنتاج مجموعة من

المواد الاستهلاكية، ومن حين إلى آخر يتم إطلاق الرصاص من البندقية. في هذه الاحتفالات العفوية، كانت الخراف تنخرط بحماسة لا مثيل لها. وكانت بعض الحيوانات الأخرى تأتي لتشتكي بتذمر (كما هو الحال لبعض المتهورين، خاصة في غياب الخنازير والكلاب) بكون كل ذلك مجرد مضيعة للوقت، يجعلها تنتظر طويلاً في البرد، فكانت الخراف تقاطعها بين حين وآخر بإطلاق ثغاء رائع وهي تنشد شعارها: «الخير في ذاوات الأربع، والشر في ذوات الاثنين». لكن الحيوانات كانت، على الوجه العموم، تجد المتعة في هذه الاحتفالات. كما كانت تعزز فكرتها بكونها سيدة نفسها، وأن ما تقوم به، بعد كل شيء، هو في مصلحتها الخاصة. هكذا، وبفضل الأغاني والمواكب، وبفضل الأرقام والنسب التي قدمها سكويلر، والبنادق التي تطلق الرصاص، وصياح الديك الصغير، والعلم الذي يخفق في الريح، بفضل كل ذلك استطاعت أن تنسى، ولو لبعض الوقت، أن بطونها فارغة.

تم الإعلان، في شهر أبريل، أن «مزرعة الحيوان» أصبحت جمهورية، فتوجب انتخاب رئيس لها. لم يكن هناك من مرشح آخر غير نابوليون الذي تم انتخابه بالإجماع. في ذلك اليوم نفسه، عرف أن هناك وثائق جديدة تثبت تواطؤ سنوبول مع جونز. وظهر أن سنوبول لم يتسبب في هزيمة الحيوانات في معركة الحظيرة بالخدعة، كما اعتقدت كل الحيوانات. لا، لقد حارب سنوبول علانية ضمن صفوف

جونز. وفي الحقيقة، كان هو من قاد قوات الإنسان، كما أنه حارب وهو يصرخ «تحيا البشرية». أما الجراح التي أصابت ظهره، والتي تتذكر بعض الحيوانات أنها رأتها، فقد كانت بفعل أسنان نابوليون.

في عز الصيف، ظهر الغراب موسى بشكل مفاجئ بعد سنوات من الغياب. مازال هو الطائر نفسه: مازال عاطلاً عن العمل ويغني المواويل عن «جبل الحلوى»، مثلما كان يفعل في الزمن الجميل. كان يحط على جذع شجرة، ويرفرف بجناحيه الأسودين، ويتحدث طيلة ساعات لكل من يصغي إليه. فيقول بصوت مهيب، ماداً منقاره نحو السماء: «هناك أيها الرفاق، في الجانب الآخر من الغيمة السوداء، هناك يوجد «جبل الحلوى». تلك هي البلاد السعيدة التي سنرتاح فيها من الشقاء إلى الأبد، نحن الحيوانات المسكينة»، بل إنه يدعي أنه كان هناك، ذات يوم، عندما حلق عالياً، عالياً جداً. وهناك رأى، إذا ما تم تصديقه، حلوى دائرية صنعت من الحبوب الجيدة (مثيراً شهية الحيوانات التي تعاني من سوء التغذية في هذا العالم السفلي)، وقطعاً من قصب السكر التي تنمو على السياجات، حتى أنها تصل إلى حقول أعشاب التفل الأبدية. عدد كبير من الحيوانات صدق كلامه. فقالت إن حياتها هي حياة الشقاء والجوع. وجود عالم أفضل في مكان ما، أليس هذا حق وعدل؟ لكن ما لم يكن سهلاً شرحه، هو موقف الخنازير من موسى. لقد أعلنت جميعها ازدراءها لـ «جبل

الحلوى» ولكل خرافة من هذا القبيل، ورغم ذلك تركته على خموله في المزرعة، بل إنها تقدم له كأساً من البيرة كل يوم.

عندما شفي حافره بدأ بوكسر يعمل بجهد كبير. وللحقيقة، فإن كل الحيوانات تلك السنة كانت تشقى مثل العبيد. فإلى جانب عملها الاعتيادي في المزرعة، كانت تعمل في بناء الطاحونة الجديدة، كما شرع في العمل في مدرسة صغار الخنازير في شهر مارس. وكانت تتعب أحياناً من العمل طيلة ساعات بقليل من الطعام. لكن بوكسر، لا يتعب أبداً. صحيح أنه لم تعد له قوة الماضي، لكن ليس هناك في ما يفعله ما يدل على أنه أصيب بالتعب. فقط تغير مظهره. جلده لم يعد يلمع كما كان، وخاصرته بدت ضامرة. «سيتحسن بوكسر عندما ينبت عشب الربيع»، كانت تقول الحيوانات الأخرى. لكن جاء الربيع ولم يزدد وزن بوكسر. أحياناً، عندما يصعد العقبة التي تقود إلى أعلى المقلع، كان يستجمع عضلاته تحت وطأة جلمود الحجر الضخم، كان يبدو وكأن الإرادة هي ما يبقيه واقفاً. في تلك اللحظات، كانت تقرأ على شفتيه عملته الخاصة به: «سأعمل بجهد أكبر»، لكن الصوت يخونه. مرة أخرى أكدت له كلوفر وبنيامين أن ينتبه إلى صحته، لكنه لا يفعل سوى ما يؤمن به. كان على وشك الاحتفال بعيد ميلاده الثاني عشر. لكن مهما يحدث، فقد كان يتمنى أن يجمع أكبر عدد من الحجارة قبل أن يحال على التقاعد.

في وقت متأخر من مساء صيفي، انتشرت فجأة إشاعة في

كل المزرعة: لقد حدث شيء ما لبوكسر. لقد ذهب بمفرده ليجر عربة مليئة بالأحجار إلى الطاحونة. وبالتأكيد كانت الإشاعة حقيقية. وما هي إلا دقائق معدودة حتى حملت الحمامتان النبأ: «لقد سقط بوكسر. إنه ممدد على جنبه ولا يستطيع النهوض».

هرع أكثر من نصف الحيوانات إلى الربوة حيث توجد الطاحونة. بوكسر هنا، ممدد تحت نقالة العربة، جانباه يرشحان بالعرق، ماداً عنقه ونظرته كابية: غير قادر حتى على رفع رأسه. خيط رفيع يسيل من فمه. فجثت كلوفر على ركبتيها بالقرب منه.

صرخت قائلة: «بوكسر، كيف تشعر؟».

- إنها رئتي، قال بوكسر متلعثماً. لا بأس. أظن أنكم في مستوى بناء الطاحونة بدوني. هناك كمية من الأحجار تكفي لذلك. في كل الحالات، ليس أمامي سوى شهر من العمل. ولأصارحك، إنني أتطلع إلى تقاعدي. وبما أن بنيامين هو الآخر أصبح عجوزاً، ربما سيحيلونه على التقاعد ليؤنسني.

- يجب أن نساعدك حالاً، قالت كلوفر. بسرعة، ليشعر أحدكم سكويلر.

هرعت الحيوانات في الحال وهي تركض نحو المزرعة لإخبار سكويلر، وبقيت كلوفر بمفردها في المكان رفقة بنيامين الذي تمدد قرب بوكسر، من دون أن ينبس بكلمة واحدة،

وبدأ بذيله الطويل يهش عنه الذباب. وبعد حوالي ربع ساعة، حضر سكويلر وكله تعاطف. وأعلن إن الرفيق نابوليون تلقى الخبر ببالغ الأسف عن هذه المصيبة التي ألمت بواحد من أكبر الأوفياء في المزرعة، وأنه قام بكل الترتيبات لنقله إلى مستشفى بويلينغدون لتلقي العلاج. بسماعها لهذه الكلمات، أحست الحيوانات بالقلق. باستثناء موللي وسنوبول، لم يغادر أي حيوان المزرعة إلى حد الآن. ولم تستسغ فكرة أن يوضع رفيقها المريض بين يدي إنسان. لكن سكويلر أقنعها بسرعة: إن بيطري ويلينغدون سيهتم جيداً ببوكسر أفضل مما يمكن القيام به في المزرعة. وبعد حوالي نصف ساعة، وما أن تمكن بوكسر من الوقوف شيئاً ما، عاد متباطئاً إلى الإسطبل حيث هيأت له كلوفر ومعها بنيامين سريراً مريحاً من القش.

لم يغادر بوكسر مربطه طيلة اليومين التاليين. جلبت له الخنازير زجاجة كبيرة تحتوي على دواء وردي اللون عثرت عليه في خزانة الأدوية الموجودة في الحمام. وكانت كلوفر تناوله الدواء بعد الأكل مرتين في اليوم. وفي الليل تنام جنبه وتحادثه، بينما يهش بنيامين عنه الذباب. اعترف بوكسر بعدم انزعاجه مما حدث. وما أن يتماثل للشفاء، فإنه سيحاول العيش ثلاث سنوات أخرى، وسيقضي أياماً هانئة في زاوية من المرعى. لأول مرة، سيشعر بأن له هوايات، كما يستطيع تغذية عقله بالقراءة. فهو يعتزم أن يقضي ما بيق من حياته في تعلم الأحرف الأبجدية الاثنين والعشرين المتبقية.

ومع ذلك، لم يستطع بنيامين وكلوفر أن يلتقيا ببوكسر إلا بعد ساعات العمل، وفي منتصف النهار تأتي العربة لأخذهما. كانت الحيوانات تعمل مجتمعة لإزالة الأعشاب الضارة تحت إشراف أحد الخنازير عندما فوجئت ببنيامين وهو يجري قادماً من مباني المزرعة وهو يصرخ بأعلى صوته. لم تره الحيوانات في مثل هذه الحالة من قبل، بل إنها لم تره مرة وهو يعدو بهذه السرعة. «أسرعوا، أسرعوا. كان يصرخ. تعالوا بسرعة. إنهم يأخذون بوكسر». وبدون أن تنتظر الأوامر من الخنزير الذي يشرف عليها، أوقفت الحيوانات العمل، وأسرعت نحو مباني المزرعة. وبالفعل، كانت في الفناء عربة كبيرة أبوابها مغلقة، يجرها جوادان، ويقودها رجل يبدو عليه المكر. على جانب العربة يمكن قراءة كتابة بارزة. وكان مربط بوكسر فارغاً.

تزاحمت الحيوانات حول العربة، وهي تصرخ بصوت واحد: «وداعاً بوكسر، وداعاً، وداعاً».

«جماعة من الأغبياء. صرخ بنيامين وهو يضرب الأرض بحوافره الصغيرة. جماعة الأغبياء. ألم تقرأوا ما هو مكتوب على جانب العربة؟».

صمتت الحيوانات، بل ازداد الصمت عمقاً. بدأت موريل في تهجئة الحروف، لكن بنيامين أزاحها بشكل مفاجئ، وأمام صمت الآخرين بدأ يقرأ:

««ألفريد سيمونز، ذابح الدواب، وصانع المواد الدبقة،

ويلينغدون. تاجر جلود وأسمدة الحيوانات. مستلزمات الكلاب.» هل فهمتم الآن؟ إنهم يأخذون بوكسر لذبحه».

دوت صرخة رعب، صدرت عن الجميع. في تلك اللحظة ضرب الرجل الجياد بالسوط فخبت، وهي تجر العربة مغادرة الفناء. انطلقت الحيوانات وراءه، وهي تصرخ بكل قوتها. شقت كلوفر طريقها نحو المقدمة. بدأت العربة تزيد من سرعتها. استثارت الفرس قوة قوائمها، وبدأت تتقدم خبباً. وصرخت: «بوكسر. بوكسر. بوكسر. بوكسر.» في تلك اللحظة بالضبط، التفت بوكسر، كما لو أنه سمع صراخ الخارج، وظهر من نافذة العربة الخلفية، وظهر عرفه الأبيض الذي يصل حتى أنفه.

صرخت كلوفر بصوت مفجوع: «بوكسر. اهرب. اهرب بسرعة. إنهم يأخذونك إلى الموت».

رددت كل الحيوانات: «اهرب، بوكسر. اهرب» لكن العربة كانت قد بدأت تبتعد بسرعة. ولا يبدو أن بوكسر قد سمع نداء كلوفر. فسرعان ما اختفى وجهه من النافذة. لكن في ما بعد سمعت حوافره وهي تضرب داخل العربة بشدة كالطبل. سمعت الحيوانات صخباً عنيفاً. لقد حاول اختراق العربة برفسات قوية. كان يستطيع في الماضي تدمير العربة بضربات قليلة من حوافره. لكن، وأسفاه، لقد فقد قوته. وما هي إلا لحظات قليلة حتى خفتت طرطقات حوافره، ثم انطفأت.

في غمرة اليأس، بدأت الحيوانات تتوسل إلى الحصانين

اللذين يجران العربة لكي يقفا. فبدأت تصرخ: «أيها الرفيقين، أيها الرفيقين، لا تأخذا أخاكما إلى الموت». لكن البهيمتين الغبيتين لم ينتبها إلى ما يقع. فنصبا آذانهما فابتعدا بأقصى سرعة.

لم يعد وجه بوكسر يظهر من النافذة. فخطرت لأحد الحيوانات فكرة أن يستبق العربة ويغلق البوابة الرئيسية، لكن الأوان قد فات. فقد عبرتها العربة واختفت مسرعة على الطريق.

ولم يظهر بوكسر بعد ذلك قط.

بعد ثلاثة أيام أعلن أنه نفق في مستشفى ويلينغدون، رغم كل الإسعافات التي كان يمكن لأي حصان أن يحظى بها. كان سكويلر هو من أعلن الخبر. قال إنه كان هناك، وشهد لحظات بوكسر الأخيرة.

«كان أكبر مشهد مؤثر رأيته في حياتي»، قال وهو يمسح دموعه بقائمه. «كنت جالساً قرب رأسه حتى النهاية. وبما أنه كان من ضعفه لا يستطيع الحديث، فقد همس في أذني بأن حزنه الوحيد هو أنه أسلم الروح قبل أن يرى الطاحونة وقد اكتملت. «إلى الأمام أيها الرفاق». قال قبل أن يلفظ نفسه الأخير. «إلى الأمام، باسم الثورة. تحيا مزرعة الحيوان. يحيا الرفيق نابوليون. نابوليون على حق دائماً». كانت تلك هي كلماته الأخيرة، أيها الرفاق.

ثم فجأة تغير مظهر سكويلر. بقي صامتاً بعض

اللحظات، وعيناه الحذرتان تنتقلان من حيوان إلى آخر. وفي الأخير تابع كلامه.

قال إنه قد بلغ إلى مسامعه إشاعة تافهة وغادرة انتشرت بعد نقل بوكسر إلى المستشفى. فقد لاحظت بعض الحيوانات كلمة «ذابح» مكتوبة على العربة، فتم استخلاص أنه يتم نقله إلى تاجر الخيول لذبحه. ما من أحد، حقاً، يصدق أن هناك حيوانات غبية بهذا القدر. بدون أدنى شك، قال صارخاً بسخط، وذيله يهتز ويقفز من اليسار إلى اليمين، لا شك في أن الحيوانات تعرف جيداً قائدها المحبوب، الرفيق نابوليون، حتى لا يصدق مثل هذه الخرافات. شرح المسألة بسيط جداً. العربة فعلاً تنتمي إلى ذابح حيوانات، لأنه باعها إلى طبيب بيطري، وهذا البيطري لم يمح اسم المالك القديم بطبقة من الصباغة. هذا ما قاد إلى الخطأ.

شعرت الحيوانات براحة عميقة عند سماعها هذا الكلام. وعندما قدم لها سكويلر تفاصيل أخرى رائعة عن لحظات بوكسر الأخيرة- الرعاية الفائقة التي أحيط بها، الأدوية الباهظة التي سدد ثمنها نابوليون دون أن يهتم لذلك- تبددت آخر شكوكها، وخفت وطأة الحزن الذي أصابها جراء موت رفيقهم، لقد مات سعيداً على الأقل.

يوم الأحد التالي، حظر نابوليون شخصياً إلى اجتماع الصباح، وألقى خطاباً مختصراً تكريماً للرفيق المأسوف على غيابه. لم يكن ممكناً، قال، الإتيان برفاته ودفنها في

المزرعة، لكنه أوصى بإكليل زهور مهيب مكون من الدفلى الموجودة في الحديقة ليوضع على قبره. كما قررت الخنازير، بعد بضعة أيام، تنظيم مأدبة تذكارية على شرف المرحوم. أنهى نابوليون خطابه المأتمي بالتذكير بشعاري بوكسر المحببين: «سأعمل بجهد أكبر» و«الرفيق نابوليون دائماً على حق». وهما حكمتان ينبغي على كل حيوان ترديدهما.

في اليوم المحدد للمأدبة، جاءت عربة بقالة من «ويلينغدون» وسلمت لبيت المزرعة صندوقاً مفتوحاً. ارتفع في تلك الليلة صوت غناء صاخب، قيل إنه قد تلاه شجار عنيف في حوالي الساعة الحادية عشرة، انتهى بتكسير زجاج الكؤوس. لم يستيقظ أي أحد في المنزل قبل منتصف نهار اليوم التالي، كأنهم أموات. كما شاع الخبر بأن الخنازير قد حصلت على المال، لم يعرف من أين ولا بأي طريقة، واشترت صندوقاً آخر من الويسكي.

الفصل العاشر

مرت السنين. مجيء الفصول وذهابها جعل حياة الحيوانات القصيرة تذهب بدورها. وجاء وقت لم يتذكر فيه أحد أيام ما قبل العصيان والثورة، باستثناء كلوفر وبنيامين والغراب موسى وعدد من الخنازير.

توفيت موريل وبلوبل وجيسي وبيتشر.

وتوفي كذلك جونز مخموراً في حانة في منطقة أخرى من البلاد. أما سنوبول فقد طواه النسيان. وكذلك بوكسر، في ما عدا القليل من معارفه. وأصبحت كلوفر فرساً عجوزاً قوية، مع تجمد في المفاصل وارتشاح في عينيها. لقد تعدت سن التقاعد منذ سنتين. لكن لم يتقاعد أحد من الحيوانات. والحديث عن تخصيص ركن من المرعى للمسنين قد تضاءل وانتهى منذ زمن طويل. أصبح نابليون خنزيراً متقدم السن يزن خميسن كلغراماً. وبلغ سكويلر من السمنة أنه يصعب عليه أن يرى بعينيه. وكان بنيامين العجوز هو الوحيد الذي لم يتغير، باستثناء بعض الشيب عند منخاره، وأصبح منذ وفاة بوكسر يميل إلى العزلة والصمت.

ازداد عدد المخلوقات كثيراً فى المزرعة الآن، رغم أن الزيادة لم تكن بالحجم المتوقع في السنوات الأولى. وجاء جيل جديد من الحيوانات لا يعني له العصيان والثورة سوى تقليد بائد، تتناقله الألسن، كما تم شراء عدد آخر لم يسمع من قبل عن مثل هذا الشيء قبل وصوله إلى المزرعة. وأصبحت المزرعة تمتلك ثلاثة جياد بالإضافة إلى كلوفر. كانت تنعم بصحة وجمال، وعندها الرغبة في العمل وحسن المواطنة، لكنها كانت شديدة الغباء ولم تتعلم من الحروف الهجائية أكثر من حرف الباء. تتقبل كل شيء يقال لها عن الثورة ومبادئ النزعة «الحيوانية».. خاصة إذا سمعتها من كلوفر التي كانت تشعر نحوها باحترام شبه بنوي. لكن لم يتبين أن هذه الحيوانات قد فهمت شيئاً مما قيل لها.

أصبحت المزرعة أكثر ازدهاراً وأفضل تنظيماً، بل لقد اتسعت مساحتها، إذ أضيف لها حقلين تم شراؤهما من السيد بيلنغتون. وأنشئت الطاحونة أخيراً بنجاح. وأصبحت المزرعة تتوفر على آلة درس بها رافعة للتبن. كما أضيفت لها عدة بنايات جديدة. واشترى ويمبر لنفسه عربة إنجليزية.

ومع ذلك، فالطاحونة لم تستخدم لتوليد الكهرباء، لكنها استخدمت لطحن الذرة. ودرت ربحاً وفيراً. وبدأت الحيوانات تعمل لبناء طاحونة ثانية، قيل إنها، بعد الانتهاء منها، ستجهزها بالمولدات الكهربائية.

أما كل تلك الأشياء الجميلة التي دفع سنوبول الحيوانات

إلى الحلم بها، من تجهيز المرابط بالإضاءة الكهربائية والماء الساخن والبارد، والعمل ثلاثة أيام في الأسبوع، فلم يعد أحد يتحدث عنها. لقد شجب نابليون مثل هذه الأفكار المناقضة لروح الحيوانية. وقال إن السعادة الحقيقية هي في العمل الجاد والعيش المقتصد.

قيل إن المزرعة، بطريقة أو بأخرى، وكأنها قد ازدادت ثراءً من دون أن تصبح الحيوانات أنفسها ثرية.. طبعاً، باستثناء الخنازير والكلاب. ربما بسبب وجود عدد كبير من الخنازير وعدد كبير من الكلاب. ولا يمكن القول إن هذه المخلوقات لا تعمل، بل هي تعمل حسب مفهومها للعمل. هكذا كان **سكويلر** يوضح الأمر من دون ملل. إنه عمل مميت؛ القيام بإدارة وتنظيم شؤون المزرعة. ومعظم هذه الأعمال من النوع الذي تجهله الحيوانات الأخرى.

لقد أخبرها سكويلر، مثلاً، أن على الخنازير بذل جهد كبير كل يوم في أمور غامضة تدعى «ملفات» و«تقارير» و«محاضر جلسات» و«مذكرات». وهي قوائم كبيرة من الورق ينبغي ملؤها بالكتابة، وبعد ملئها تحرق في الفرن. وأضاف إن هذا هام جداً من أجل مصلحة المزرعة. لكن لازالت الخنازير والكلاب لا تنتج أي طعام من مجهودها الشخصي. وهناك عدد مهول منها، وهي من ذوات الشهية المفتوحة دائماً.

أما الآخرون، فحياتهم، على حد علمهم، لا تزال كما كانت عليه دائماً. كانوا جياعاً بصفة عامة، وينامون على

القش، ويشربون من المورد، ويعملون في الحقول، وفي الشتاء يزعجهم البرد، وفي الصيف الذباب. وأحياناً كان الكبار منهم ينقبون في ذكرياتهم الباهتة، ويحاولون تحديد ما إذا كانت الأمور أفضل أم أسوأ من الآن، بالضبط بعد الأيام الأولى من الثورة، إثر طرد جونز. . ولم يستطيعوا التذكر. إذ لم يكن لديهم ما يمكن مقارنته بحياتهم الراهنة. فليس لديهم ما يرجعون إليه غير الكشوف المليئة بأرقام سكويلر التي توضح تحسن الأمور بالتدريج. فوجدت الحيوانات أن مشكلتها لا حل لها.

ومع ذلك لم تيأس الحيوانات. علاوة على أنها لم تفقد قط، حتى ولو للحظة، إحساسها بالكرامة والامتياز في كونها أعضاء في مزرعة الحيوان. ولا زالت المزرعة الوحيدة في جميع أرجاء إنجلترا التي تمتلكها وتديرها الحيوانات. ولم يتوقف إعجاب أحد منها بذلك حتى أصغرها، أو القادمين الجدد الذين جاؤوا من مزارع تبعد عشرين أو ثلاثين كيلومتراً.

وعندما كانت تسمع الرصاص يطلق من البندقية، وتشاهد العلم الأخضر يرفرف على قمة السارية، كانت قلوبها تمتلئ بفخر لا نهاية له. ويتحول الحديث دائماً نحو أيام البطولة القديمة، وطرد جونز، وكتابة الوصايا السبع، والمعارك العظيمة التي قطع فيها الغزاة إلى أجزاء. كما أنها لم تتخل قط عن الأحلام القديمة. وما زالت تؤمن بما أعلنه «ميجر العجوز»: جمهورية الحيوان. كانت حينها تتخيل حقول

إنجلترا الخضراء التي لن تطأها أقدام البشر. وسيأتي يوم في المستقبل، ليس الآن، وربما لن تراه في حياتها، لكنه آت لا محالة. حتى نشيد «حيوانات إنجلترا» فربما يتردد سراً هنا هناك. على كل حال، فكل حيوان في المزرعة كان في الحقيقة يعرفه، رغم أن أحداً لم يجرؤ على إنشاده بصوت مرتفع. قد تكون حياتها صعبة بالفعل، وربما لم تتحقق كل آمالها، لكنها كانت تعي أنها ليست كبقية الحيوانات. إن جاعت فلن يكون ذلك من أجل إطعام بني البشر الطغاة وإن عملت بجهد فلصالحها على الأقل، ليس بينها من يسير على قدمين، ولم يكن لمخلوق منها أن ينادى الآخر بعبارة «سيدي»، فجميع الحيوانات متساوية.

أمر سكويلر، في يوم من أيام الصيف الأولى، الخراف باللحاق به. وقادها إلى الطرف الآخر من المزرعة، حتى وصلوا إلى قطعة أرض بلا زرع ومليئة بأشجار البتولا. أمضت الخراف اليوم كله ترعى على أوراقها الخضراء تحت إشراف سكويلر. وفي المساء عاد إلى قصر المزرعة وحده، وطلب من الخراف البقاء في مكانها، حيث إن الطقس كان دافئاً. وانتهى الأمر ببقائها هناك لمدة أسبوع بأكمله، من دون أن تشاهدها الحيوانات الأخرى. كان سكويلر يقضي معها معظم الوقت كل يوم. وقال إنه كان يعلمها أداء أغنية جديدة، تحتاج للسرية.

في تلك الأمسية اللطيفة، كانت الخراف عائدة إلى مباني

المزرعة، بعدما انتهت من عملها. فتردَّدَ في الفناء صهيل جواد رهيب. من وقع المفاجأة توقفت في الحال. إنه صوت كلوفر. صهلت ثانية، فاندفعت جميع الحيوانات عدواً إلى الفناء. ثم رأت ما قد رأته كلوفر.

إنه خنزير يمشي على قائمتيه الخلفيتين.

أجل، إنه سكويلر. كان يمشي عابراً الفناء على نحو أخرق، ولكن بتوازن ظاهر، على الرغم من عدم اعتياده على الوقوف بجسده الضخم في ذلك الوضع. وبعد لحظة خرج من باب قصر المزرعة صف طويل من الخنازير تسير جميعها على قوائمها الخلفية، بعضها كان يسير أفضل من بعضها الآخر. وكان واحد أو اثنان يتكئان على عكاز. واستطاعت كلها أن تكمل دورة واحدة حول الساحة بنجاح. وفي النهاية أطلقت الكلاب نباحاً هائلاً، وصاح الديك الأسود صياحاً قوياً، فظهر نابوليون بنفسه منتصب القامة. ورمى الجميع بنظرات مترفعة يميناً ويساراً، وكلابه تسير من حوله.

كان يحمل سوطاً.

خيم صمت مميت. وتدافعت بازدحام الحيوانات المندهشة والمرعوبة، وبدأت تراقب طابور الخنازير الطويل الذي يسير ببطء حول الفناء. وبدا وكأن العالم قد انقلب رأساً على عقب. ثم جاءت لحظة بعد زوال صدمة الوهلة الأولى، حيث رغم كل شيء - رغم رعبها من الكلاب والعادة التي ترسخت خلال سنين طوال بعدم الشكوى أو الانتقاد إطلاقاً

مهما حدث - كانت على وشك التفوه بكلمة احتجاج. لكن في تلك اللحظة بالذات، وكأن أحداً قد أعطاها إشارة البدء: انفجرت الخراف بثغاء عظيم:

«الخير في الأقدام الأربعة، والخير الأكثر في القدمين. الخير في الأقدام الأربعة، والخير الأكثر في القدمين».

بقيت تردد ذلك لمدة خمس دقائق بدون انقطاع. وحين هدأت الخراف. تلاشت فرصة التعبير عن أي احتجاج، فالخنازير قد عادت إلى قصر المزرعة.

أحس بنيامين بمنخار على كتفه. نظر حوله فرأى كلوفر. كانت عيناها المسنتان ضائعتان أكثر من أي وقت مضى. ومن دون أن تقول شيئاً تعلقت في عرفه وقادته بلطف إلى طرف الحظيرة الكبيرة، حيث كتبت الوصايا السبع. فوقفا لدقيقة أو دقيقتين ينظران إلى الحائط المصبوغ بالقطران، وإلى الحروف المكتوبة باللون الأبيض.

ثم قالت في الأخير:

إن نظري لا يسعفني. حتى وأنا شابة، لم يكن في مقدوري قراءة ما هو مكتوب هناك. لكن يبدو لي أن ثمة تغييراً طرأ على الحائط. هل الوصايا السبع مازالت على حالها يا بنيامين؟

للمرة الأولى يتخلى بنيامين عن مبادئه. وقرأ لها ما هو مكتوب على حائط. لم يكن هناك الآن سوى وصية واحدة، وهي:

جميع الحيوانات متساوية،

لكن بعضها أكثر مساواة

من غيرها.

بعد ذلك لم يعد مستغرباً في اليوم التالي عندما بدأت الخنازير تشرف على أعمال المزرعة، وهي تحمل السياط. ولم يبد غريباً معرفة أن الخنازير قد اشترت لأنفسها جهازاً لاسلكياً، ووضعت لنفسها جهاز الهاتف. واشتركت في مجموعة من الجرائد، منها أسبوعيية ساخرة ويومية شعبية واسعة الانتشار. لم يبد غريباً مشاهدة نابليون وهو يقوم بجولة في الحديقة وغليونه في فمه. ولا حتى رؤية الخنازير وهي ترتدي ثياب السيد جونز التي أخذتها من الخزانة. فنابوليون نفسه ظهر في معطف أسود وبنطلون صيد، وكساء الساقين الجلدي. بينما ظهرت خنزيرته المحببة في الثوب الحريري الذي كانت تظهر به السيدة جونز أيام الآحاد.

بعد أسبوع، في ظهر أحد الأيام، جاءت إلى المزرعة مجموعة من العربات الإنجليزية. كانت تضم مجموعة من مندوبي المزارعين المجاورين جاؤوا لإجراء جولة تفتيشية. قاموا بزيارة لجميع أرجاء المزرعة. وأبدوا إعجابهم بكل ما شاهدوه، خصوصاً الطاحونة. كانت الحيوانات تقتلع الأعشاب من حقل اللفت، وكانت تؤدي عملها بجد وإتقان، من دون أن ترفع وجوهها عن الأرض. ولم تعرف ممن عليها أن تخاف: من الخنازير أم من البشر الزوار.

سمعت من قصر المزرعة في تلك الأمسية أصوات غناء وضحك مرتفع. وفجأة اعترى الحيوانات حب الاستطلاع عند سماعها تلك الأصوات المختلطة. ترى ماذا يحدث هناك. فالآن ولأول مرة تلتقي الحيوانات مع بني البشر على قدم المساواة؟ وباتفاق جماعي، بدأت الحيوانات الزحف بخطوات صامتة نحو الحديقة.

توقفت عند البوابة شبه خائفة من الاستمرار، لكن كلوفر تقدمتها. وسارت على أطراف قوائمها إلى المنزل. وتلصصت الحيوانات الطويلة منها عبر زجاج غرفة الطعام.. رأت اثنا عشر مزارعاً يجلسون حول المائدة الطويلة وستة خنازير من المتفوقين. وكان نابليون نفسه يحتل كرسي الشرف في صدر المائدة. وبدا الارتياح على الخنازير وهي في مقاعدها. كانت المجموعة تستمتع بلعب الورق، لكنها توقفت برهة لتبادل الأنخاب. كان يدور عليها إبريق كبير لملء الكؤوس الكبيرة بالبيرة. ولم يلحظ أحد وجود الحيوانات المندهشة التي كانت تحدق عبر النافذة.

وقف السيد بيلنغتون صاحب مزرعة فوكسوود، وهو يحمل بيده كأساً كبيرة، وقال إنه سيشرب نخباً على شرف الحاضرين. ولكن قبل أن يفعل ذلك، رأى بأنه من الضروري قول شيء ما.

قال إن من دواعي سروره العظيم - وهو بالتأكيد كذلك لجميع الحاضرين - أن يشعر بأن فترة طويلة من عدم الثقة

وسوء التفاهم قد مضت وانتهت. لقد مر زمن - لم يكن هو أو أي من الحاضرين يشاركون فيه بمثل هذه المشاعر- زمن نظر فيه إلى مالكي مزرعة الحيوان المحترمين ليس بعين العداء، ولكن ربما بهاجس من الريبة من قبل جيرانهم البشر. ومع الأسف وقعت أحداث. وشاعت أفكار خاطئة. وساد شعور بأن وجود مزرعة تملكها وتديرها خنازير كان أمراً غير طبيعي، من شأنه أن يخلق جواً غير مستقر في المنطقة. كما افترض كثير من المزارعين، بدون إمعان للنظر، أن روح الانحراف وعدم الانضباط سوف تسود هذه المزرعة، فتوجسوا خيفة من انتقال عدواها إلى حيواناتهم، أو حتى إلى عمالهم البشر. لكن جميع هذه الشكوك قد تبددت الآن. لقد زاروا اليوم مزرعة الحيوان. وقاموا بتفتيش كل شبر، فماذا وجدوا؟ ليس فقط أكثر الوسائل عصرية وحسب، بل انضباطاً وانتظاماً لابد أن يستحقا أن يكونا مثالاً للجميع في كل مكان. وقال إنه كان يعتقد بأن الحيوانات الأقل شأناً في المزرعة تعمل أكثر، وتحصل على طعام أقل من أي حيوان آخر في المقاطعة. وفي الحقيقة، إنه برفقة أصدقائه استفادوا مما شاهدوه، وينوون إدخاله إلى مزارعهم الخاصة في الحال.

وأنهى ملاحظاته بالتأكيد مرة أخرى على مشاعر الود التي نشأت، ولابد أن تستمر، بين مزرعة الحيوان وجيرانها. وإنه ليس هناك بين الخنازير والبشر أي تصادم في المصالح مهما

كان، ولن يكون، فنزاعاتهم ومشاكلهم واحدة. أليست مشاكل العمل هي نفسها في كل مكان؟

وهنا لاحظ الجميع أن السيد بيلنغتون كان على وشك إلقاء بعض النكت الظريفة على الحاضرين، لكنه كان في تلك اللحظة على وشك الضحك، فلم يستطع النطق بها. وبعد أن كتمها في داخله وأوشك على الاختناق وتحولت ملامحه إلى اللون القرمزي، وفي الأخير انتهى إلى القول: «إن كنتم تملكون حيوانات دونية، فنحن أيضاً في الطبقات الدنيا». أضحكت هذه الكلمات الجالسين حول المائدة. وقام السيد بيلنغتون من جديد بتهنئة الخنازير على تخفيض حصص الطعام، وعلى ساعات العمل الطويلة، وعلى الرفض التام لتدليل حيوانات المزرعة. وفي الختام قال إنه يستسمح الحضور ويطلب منهم الوقوف وملء الكؤوس. وقال في الختام: «أيها السادة، أيها السادة، لنشرب نخب ازدهار مزرعة الحيوان».

ارتفع هتاف الحيوانات وبدأت تضرب الأرض بأقدامها بحماس كبير. غادر نابوليون مكانه، وهو في غاية الحماس، واستدار حول المائدة ليقرع كأسه بكأس السيد بيلنغتون قبل أن يشربها. وعندما خفتت الضجة. بقي نابوليون واقفاً، إشارةً منه إلى أن لديه كلام يود قوله.

مثل كل خُطَب نابليون كانت الخطبة قصيرة وفي السياق ذاته. فقال إنه سعيد بدوره لأن فترة سوء التفاهم قد ولت.

لقد سرت شائعات لفترة طويلة. ولديه ما يجعله يعتقد بأن الذي نشرها هو عدو متوحش، وكان لديه هو وزملاؤه نظرة هدامة بل حتى ثورية، لقد لصقت بهم التهمة في محاولة تحريض العصيان بين الحيوانات في المزارع المجاورة. وليس هناك أبعد من ذلك عن الحقيقة! فأمنيتهم الوحيدة الآن وفي الماضي، هي العيش في سلام مع علاقات عمل طبيعية مع جيرانهم، وأردف قائلاً، أن هذه المزرعة التي يتشرف بقيادتها، هي مشروع تعاوني. وصكوك التمليك التي بحوزته هي ملك مجتمعه.

وقال إنه لا يعتقد أن الشكوك القديمة لا زالت قائمة، لكن بعض التغييرات طرأت أخيراً على روتين المزرعة، مما سيعزز الثقة أكثر وأكثر، وحتى الآن فالحيوانات في المزرعة مازالت معتادة على مخاطبة بعضها بعضاً بعبارة «رفيق». وهذا ما يجب قمعه، كذلك هناك عادة غريبة، لا يعرف أصلها وهي مسيرة كل صباح يوم أحد والمرور على جمجمة خنزير مثبتة بمسامير على عامود في الحديقة، وهذه ستقمع كذلك، أما الجمجمة فقد تم دفنها، ولعل زوّاره قد شاهدوا، كذلك العلم الأخضر الذي يرفرف فوق قمة السارية. فلعلهم لو شاهدوه فعلاً، قد لاحظوا أن الحافر والقرن الموجودين سابقاً قد أزيلا الآن.. وسيكون العلم من الآن فصاعداً باللون الأخضر فقط.

وقال إن لديه انتقاداً وحيداً على الكلمة الودية الممتازة التي ألقاها السيد بيلنغتون، وأشار خلالها إلى «مزرعة

الحيوان». وبالطبع لا يعرف أن نابوليون سيعلن الآن وللمرة الأولى أن اسم «مزرعة الحيوان» قد تم الغاؤه. وستعرف المزرعة منذ الآن باسم «مزرعة القصر» الذي كان هو اسمها الصحيح والأصلي.

وختم نابوليون خطبته قائلاً: «أيها السادة سأقدم لكم النخب نفسه كالسابق. لكن بشكل مختلف. املأوا كؤوسهم عن آخرها. أيها السادة، هذا نخبي. إلى ازدهار مزرعة القصر». وانطلق الهتاف الحماسي السابق نفسه، وأفرغت الأقداح والكؤوس حتى الثمالة. وبينما كانت الحيوانات تحدق في المشهد من الخارج، بدا لها أن أمراً غريباً كان يحدث. ترى ما الذي قد تغير في وجوه الخنازير؟ وتنقلت عينا كلوفر المتعبتان من وجه إلى آخر. كان لبعضهم خمسة ذقون، ولبعضهم ثلاثة. ولكن ما الذي بدا وكأنه يذوب ويتغير؟ ثم انتهى التصفيق. وعادت المجموعة لمتابعة لعب الورق الذي كان قد توقف، فزحفت الحيوانات مبتعدة في صمت.

لكن ما كادت تسير مسافة عشرين متراً حتى توقفت فجأة، فقد كانت هناك ضجة وأصوات قادمة من قصر المزرعة فأسرعت عائدة ونظرت عبر النافذة ثانية. أجل، كانت هنالك مشاجرة جارية. كان هناك صراخ، وضرب شديد على المائدة، ونظرات شك حادة، ورفض وإنكار في اهتياج، وظهر أن أصل المشكلة وهو أن كلاً من نابوليون والسيد بيلنغتون قد لعبا ورقة «الآس» في وقت واحد.

وكان إثنا عشر صوتاً يصرخ في غضب، وكلها متشابهة.

لا حاجة للسؤال الآن، عما قد حدث لوجوه الخنازير. وتتطلع الكائنات في الخارج إليهم، وتنقل نظراتها من خنزير إلى إنسان، ومن إنسان إلى خنزير. ثم من جديد من خنزير إلى إنسان. لكن أصبح من المستحيل التمييز بين الإنسان والخنزير.

جورج أورويل

مزرعة الحيوان

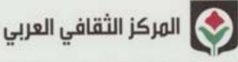
مزرعة الحيوان، حكاية حيوانات من خلالها يقدم جورج أورويل هجاءً ساخراً ونقداً للأنظمة الشمولية، ولإنسان السلطة وانحرافاته.

قررت الحيوانات ذات يوم، بعد أن حركتها المُثل العليا للخنزير العجوز «ميجر»، أن تثور ضد سيدها، بأمل أن تعيش حياة مستقلة تسودها العدالة والتعاون والسلم بين الجميع. عندما سقطت المزرعة في يد الحيوانات ساد الاحترام للوصايا السبع التي تبجّل السلام، وتأكد التنوعَ القائم بينها. أما العدو فقد تم تحديده بوضوح: إنه الإنسان، وقد أجمعت الحيوانات على ذلك.

لكن الخنازير توصلت بسرعة إلى الاستئثار بالسلطة، فاستعبدت باقي الحيوانات واستغلت ذكاءها بهدف التحكم في مخاوفها وقامت بتحريف الماضي لمصلحتها. وتم تشويه المثل العليا بسرعة فائقة. المبادئ العامة تم إفسادها، فظهر الدكتاتور «نابوليون»، وأقام تقديساً للذاتية. ووضع الحيوانات الأخرى في حالة من الإذعان له، وأرهقهم في العمل المنهك. رغم ذلك، تمكن من الحفاظ على شعلة الأمل داخلهم، ووضع أمامهم هدفاً متعذراً، ووعدهم بحياة أفضل، وتركهم داخل هذه اليوتوبيا. مرت السنين، ولا شيء ميّز الخنازير عن أسيادها السابقين... لم يبق في النهاية من الوصايا السبع التي كتبت في البداية على الجدار، سوى وصية واحدة:

«جميع الحيوانات متساوية، لكن بعضها أكثر مساواةً من غيرها».

هذه الاستعارة اللامعة التي تخيلها جورج أورويل توضّح انحرافات السياسة والسلطة. كما أنها أيضاً ترسم، بطريقة مذهلة، كيف أن الرغبة في التغيير يمكن أن تقود إلى الدكتاتورية، وكيف أنه من السهل التحكم في عقل الآخر بواسطة الخطابات البراقة، وكيف أن الحيوانات انتهت بتصديق أي شيء، مما يدفع في النهاية إلى التأمل في قوة البروباغندا.

المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء: ص.ب 4006 (سيدنا)
بيروت: ص.ب 113/5158
markaz@wanadoo.net.ma
cca_casa_bey@yahoo.com

ISBN 978-9953-68-600-4

